٢

رواد الاصلاح

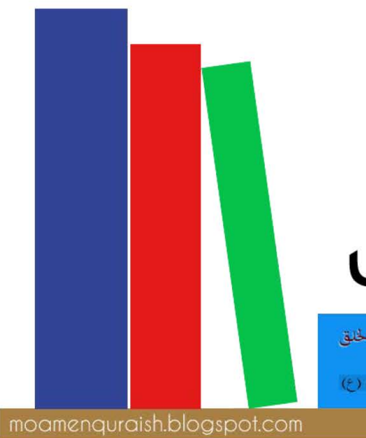
الامام الخميني

والمشروع الحضاري الاسلامي

قراءة في خطاب الصراع والاستنهاض

الدكتور سمير سليمان

مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي



مكتبة

مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .

الإمام الصادق (ع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الامام الخميني

والمشروع الحضاري الاسلامي

رواد الاصلاح

سلسلة دورية تعنى بدراسة مشاريع الاصلاح
التي نهض بها الرواد المسلمون تصدرها

مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي

الافكار الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المؤسسة

المراسلات
باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:
الجمهورية الاسلامية في ايران
قم: ص ـ ب ٣٦٥١ ـ ٣٧١٨٥
هاتف: ٧٤٠٣٥٨ (٠٢٥١)
تلفاكس: ٧١١١٩٩ (٠٢٥١)



رواد الاصلاح



الامام الخميني

والمشروع الحضاري الاسلامي

قراءة في خطاب الصراع والاستنهاض

الدكتور سمير سليمان

الكتاب الثاني من سلسلة رواد الاصلاح

الطبعة الاولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م

تقديم

ظل الامام الخميني (رض) استثناء بين المصلحين، استثناء في وعيه المتطور وخصائص شخصيته وفي حجم الخطوة التي خطاها على طريق الاصلاح واحياء الفكر الديني، حيث استطاع باقامة الدولة الاسلامية أن يراكم أكثر من لبنة في المشروع الحضاري الاسلامي، حتى اصبح هذا المشروع واقعاً معاشاً بعد أن كان مجرد طموح يستأثر بالهم الاسلامي برمته، ويفرض اولويته على كل تخطيط أو عمل حركي، لذلك كانت الاستجابة لتلك الصراحة المدوّية واسعة، إذ اتحد المسلمون ـ حينها ـ في جميع انحاء العالم واشرأبت عيونهم نحو الامام الذي اعاد للامة ثقتها بنفسها وبفكرها وثقافتها وهويتها واصالتها .

وبهذا تصدّر الامام قائمة رواد الاصلاح وصار نموذجاً يحرك فعل الكتابة لدى الباحثين عن جوانب القوة في شخصيته، فتعددت الدراسات التي تناولت الابعاد المختلفة فيه، إلّا ان الدراسات الجادة مازالت محدودة وقاصرة، غير ان عمل الدكتور سمير سليمان «الامام الخميني والمشروع الحضاري الاسلامي .. قراءة في خطاب الصراع والاستنهاض » وهو الكتاب الثاني ضمن سلسلة (رواد الاصلاح) يعدّ ـ بحق ـ عملاً فريداً بعد ان سجل فارقاً كبيراً على غيره من الدراسات، فهو رحلة استكشاف قام بها الكاتب بجدارة معتمداً على قوة ادواته ومنهجه العلمي، فاستطاع من خلال القراءة تلك ان يتعرّف على مشروع الامام وخطابه الاستنهاضي، وقدرة ذلك الخطاب على تثوير الامة، كما تمكن ان يستجلي الصورة الحقيقية للقراءة التي قدمها الامام (رض) للدين، تلك القراءة التي تعالت على ما افرزته القراءات الاحادية، ذات الطابع الاستاتيكي القاصر، من تكلسات

وعقبات تعكر مسار النهضة الاسلامية وحركة الاصلاح الديني.

لقد آثرنا ان ننصت لأداء الكاتب يحدثنا عن منهج الامام في الاصلاح غير ان ذلك لا يمنع من الاشارة ـ مكثفاً ـ الى احد الابعاد الفاعلة فيه . وهو ان الامام حينما كان يقاتل الشاه واعوانه على احدى الجبهات كان في الجبهة الثانية يمارس عملية اصلاح جذري داخل «الحوزة العلمية»، باعتبارها مرجعاً دينياً ومعرفياً يلجأ اليها الفرد في تنظيم علاقاته وضبط سلوكه، وبالتالي فهي تمثل سلطة كبيرة ذات صلاحيات واسعة، وعليها معوّل اصلاح الوسط الاجتماعي «اذا صلح العالِم صلح العالَم»، والعكس صحيح.

واخطر شيء في الحوزة ـ كما يراه الامام ـ هو القداسة المزيفة، المختفية وراء العلم والمتلبسة بلباس العلماء، التي تكرّس الجهل والامية لتقتطف ثمارها وتحقق مصالحها. فهو يقول في كتابه الحكومة الاسلامية (ص ٢٠٨): «احسموا وضع هؤلاء المتقدسين فان وجود هؤلاء بمثابة تقييد لكم من الداخل مع هجوم العدو من الخارج، ان هؤلاء اسمهم مقدسون لا انّهم مقدسون واقعاً وليسوا مدركين للمصالح والمفاسد، وقد كبلوا ايديكم ...».

هذا النص التأريخي يضع المصلح امام مسؤولية حساسة ويرسم له معالم الطريق في عملية الاصلاح والتغيير.

نأمل ان يضيف كتاب الدكتور سمير سليمان حول الامام الخميني (رض) رؤية جديدة تنير الطريق امام المصلحين من ابناء الامة .

ومؤسسة التوحيد للنشر الثقافي إذ تقدر للدكتور سليمان جهده الثري تشكر جميع الاخوة الذين تفاعلوا مع مشروعها (رواد الاصلاح). هذا التفاعل الذي تجسّد عبر نفاد الطبعة الاولى من الكتاب الاول لهذه السلسلة خلال ايام.

ومن الله نستمد العون والسداد.

ماجد الغرباوي

٢٠ / صفر / ١٤١٩ هـ

١٥ / ٦ / ١٩٩٨ م

تمهيد

في تجارب كتابية كثيرة لنا سابقة في قضايا حضارة الانسان عموماً، وحضارة الاسلام خصوصاً، لم نجد في معاناة الكتابة وأوجاعها وهمومها، أصعب مما عانيناه هذه المرة الاولى التي كتبنا فيها عن الامام، وهي ـ في كل حال ـ متأخرة تمنيناها متقدمة لو سمحت ظروفنا. وقد كان يخيل الينا قبل مباشرة فعل الكتابة أن الامر في الامام ـ رضوان اللّه عليه ـ سيكون سهلاً لسببين:

أولهما: تماسنا الزمني المباشر مع عصر الامام، ومعايشتنا، أو اقترابنا، مما عاشه من أحداث معاصرة وحديثة في شتى الشؤون والميادين.

وثانيهما: السهولة النسبية لنصوص الخطاب الحضاري للامام ـ عدا عرفانه ـ فتبدو للوهلة الاولى ونظراً لتوجهها الجماهيري عموماً، وكأنها بسيطة المأخذ، سلسة الانقياد، هينة المنال، مطواعة لتحريك فعل الكتابة عند صاحبها، لا حرون ولا عصية.

وكانت المفاجأة بسقوط السببين سقوط الوهم أمام الحقيقة الشاخصة... ولسنا ندري بعد اذا كنا وجدنا بين من كتبوا في الامام من اسقط في يده، فشعر باحباط وحزن مريرين بفشل بعض المحاولات الاولى.

ولا نعلم ما اذا كان وراء الصعوبة تلك بعض أو كل الاسباب التالية:

أ ـ ضخامة الخزين الفكري والثقافي والفلسفي والاصولي الذي ظمه الامام بين جانحيه.

ب ـ كثافة ودقة الموضوعات والمفاهيم التي انطلق منها، أو تصدى لاثارتها أو طرحها.

ج ـ جسامة المسؤوليات التي اضطلع بها، وكثرة الانشطة التي تحرك وحرك بها على صعد شتى ومستويات مختلفة، وذلك بين طمي البعد والتزييف والتخلف والجهل والجهالة.

د ـ فرادة الرؤية التي اعتمدها والخيارات التي اختارها، وقد كانت كالاحلام المستحيلة والاضغاث.

وكيف لا تكون مسيرة الانبعاث من كل شيء، على كل شيء، الى كل شيء، إلّا كأداء محفوفة بالمخاطر واللجب من المكاره والمحظورات، والعدو كثير ومزود من كل قوى الاعتراض والتخريب والازهاق التقليدية أو المتطورة وأدواته، واللامشروطة باهداء خاص، وعلم خاص، وحكمة وجرأة خاصتين؟

هـ ـ ان الباحث في فكر الامام يواجه اشكالية مركبة قوامها: ان هذا الفكر ليس شخصياً في أصله ومبدأه، كما الحال في أفكار الآخرين العاديين، لانه صادر عن المتنزل الالهي ومنصهر فيه. فالالهي هو المبدأ والاصل، وهو المعاد أيضاً، وأما البشري فهو الامام المهتدي بالالهي، المبين له، والهادي اليه، والحجة فيه على الناس، والقيم العالم بحلاله وحرامه.. أي أن البشري هنا محمول على السماوي المطلق كأكمل ما يحمل الانساني الالهي الكامل.

لذلك يجد الباحث نفسه أمام صعوبة من نمط خاص في الكتابة عن هذا التوحد المزدوج والمتكامل بين الاصل والمبدأ وامتداداتهما في الحضور الفكري للهادي اليهما.

و ـ ان من يتصدى للكتابة عن فكر امام بهذه القدرات، لاينبغي ان يسقط من حسابه قط، انه انما يكتب عن اكمل شخصية في هذا العصر، بل عن اكمل شخصية بعد الائمة، مما يستدعي في الكاتب جهوداً استثنائية تتناسب مع استثنائية المكتوب عنه، وحضوره القدسي.

ز ـ من الملاحظ في الكتابة عن فكر الآخرين، وجود صوتين متمايزين في النص: صوت المكتوب عنه، وصوت الكاتب. وقد يتلاقى هذان الصوتان، أو قد

يتقاطعان، أو قد يفترقان. وغالباً ما يكون صوت الكاتب أعلى من صوت المكتوب عنه.

اما الكتابة في الامام فهي عندنا خارج هذه الايماءات، لان خطاب الامام بما هو «خطاب» الاسلام، يجرف النص المكتوب عنه بفيوضاته، ويغرقه في أبعاده. انه لا يترك للكاتب فرصة لاصطناع مسافة كتابية «عقلانية» بينه وبينه... فاما ان يتوحد الكاتب في هذا الخطاب فيكتب عنه من داخله، بما هو فيه ومنه، فهو المحيط والكاتب هو المحاط، واما ان تتخذ الكتابة بعداً آخر.. لعله أشبه بكتابة الغربة عن روح الاصل، أو بكتابة الافتعال.. أو – ربما – اللاكتابة.

ح ـ لسنوات خلت، كان الامام لايزال حي الجسد يملأ الدنيا ويشغل الناس في العالم كله.. والكتابة عن فكر حي قد تكون حافز امتناع وتردد، وقد استكان الباحثون الى عرف وتقليد مستغربين يقولان بعدم الكتابة عن الاحياء!

أيكون تقصير المفكرين والباحثين في الكتابة عن فكر الامام الخميني مردوداً الى هذه الاسباب كلها، أو الى بعضها؟ أم أن الامام بعد انتقاله الى رحمة ربه، قد انضم الى أئمتنا الآخرين الذين ظلمناهم بتقصيرنا في ايفائهم بعض ما لهم، عندما لم نخصص فكرهم بما يستحقه من الاهتمام والدرس والاظهار والاحياء ؟!

أما نحن فأميل في تفسير ظاهرة الصعوبة تلك، الى الاسباب السبعة الاولى، لا الى السبب الاخير.

* * *

تحت اثقال الظاهرة المنوه بها، ولدت دراستنا قراءة حضارية أولية لخطاب الامام الاستنهاضي الصراعي قبل انتصار الثورة الاسلامية، من خلال نصوصه المترجمة الى اللغة العربية، والتي تعود الى تلك الحقبة، ومن خلال تلك التي تحدثت عنها بعد تحقيق الانتصار، بحيث نقرأ مهج حركة الامام الاستنهاضية انطلاقاً من كونها:

١ – نموذجاً حضارياً اسلامياً منبثقاً من صلب الصراع الحضاري بين حضارتين: حضارة الحق والتوحيد، وحضارة الطاغوت والباطل.

٢ – نموذجاً لفعل الاستنهاض الاسلامي الحامل للمشروع الحضاري الالهي للعالم كله، بمبادئه وقيمه واهدافه، وبجهوزيته للتطبيق لخير الانسانية جمعاء.

٣ – تمثلا لمنهج الانبياء والرسل والائمة في التبليغ والدعوة الى رسالة السماء واقامة حكم الله في الارض، بشريعته واحكامه ونظامه الاجرائي التنفيذي.

٤ – احياء للامة وجهاداً لتوحيدها باعادة ارتباطها باصولها الحضارية وثقافتها وتاريخها واهدافها، ولاعادة بعث التزامها بتكليفها الالهي بما هي خير امة اخرجت للناس، واسترداد عافيتها الجهادية على مستوى مؤسساتها ومجامعها العلمية الدينية وقواعد التحامها الروحي والاجتماعي والسياسي بمشروعها الحضاري.

والامام، في ذلك كله، عقل استراتيجي اسلامي كبير، وانموذج اقتداء وهداية وفلاح، وآية من آيات الله في خلقه، من طينة اوصياء الرسل، انبتت ذخراً سرعان ما صدّع الارض بغابة من العاملين الهداة.

قال تعالى: **﴿وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾**[1]، **﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾**[2].

يبقى ان نشير في ختام هذا التمهيد، الى ان هذه القراءة الاولية هي جزء من كل، سيكتمل، باذن الله، بمتابعته خطاب الامام الحضاري بجملته بعد الثورة وقيام الحكومة الاسلامية، وحتى انتقال الامام الى جوار ربه.

سمير سليمان

الفصل الاول

الحضارة والنموذج الحضاري

تأسيس في المصطلح والمنهج

ما اختلف في مصطلح يقول تاريخ كيان امة وحضورها في هذا العالم، وتوقها الى ما يتجاوز حدود واقعها، كالاختلاف في مصطلح « الحضارة » نظراً لصعوبة تحديده، وقابليته لاحتضان الكثير من الدلالات.

وفي الاختلاف كان ابتعاد، أو مقاربة، أو معاقبة، أو ارتداد. ولكن، في كل مرة، يصيب القارئ أو الدارس قبال المصطلح اضطراب، بل قلق، مؤقت أو مستديم، حتى يعبر في نص المصطلح ومتنه مدة، تطول أو تقصر، قبيل أو بعد ان يطويه، مما يؤثر في مسار الاستفادة، أو يربكه، أو ينسخه – احياناً الى سوء فهم. خصوصاً وان مستخدمي المصطلح قلما يحدسون في امكانية وقوع هذا النوع من الاضطراب، فلا يردفون استخدامهم بايضاح أو تفسير أو جلاء قصد.

وحتى لا نسقط، أو نُسقِط، فيما ننبه إليه، رأينا ضرورة التعريف بما يقنعنا في مصطلح «الحضارة» فاعتمدناه في سياق هذا النص.

«الحضارة» ـ عندنا ـ تبصر بالغايات[٣]، باعتبار الغايات ـ اسلامياً ـ موجهة لحركة الانسان وفكره وعلمه وأفعاله ووسائله[٤]، بحيث لا تنفصل الغاية عن وسيلتها. والحضارة ـ بتعبير آخر ـ هي منهج معرفة وفهم الامة للوجود والطبيعة، وعلاقتهما بالانسان، ولعلاقات البشر ولعلاقة ذلك كله بالغيب. وهي بالتالي منبثق أخلاقهم ونظام قيمهم ومثلهم الاعلى الذي يرتقون اليه ويتكاملون فيه، وهي أيضاً منهج رؤيتهم للتاريخ والمستقبل والمصير. وهذا يعني أن الحضارة منهج فكري واصل بالنتيجة الى أنواع أو أنماط ومواقف سلوكية انسانية تحاكي واقعاً محدداً، ومثلاً عليا معينة[٥]. انها بمعنى مختصر «كيان الامة الفكري»[٦]،

وعلله ومصادره، وتجلياته في القول والعمل والتطلعات، ومعايير محاكمته للاشياء وعلاقات الناس والعالم.

من «اصطلاح المصطلح» هذا، نَدْلُف الى مصطلح توليدي هو «النموذج الحضاري» ونعني به، بمفهوم أول: المظاهر الحضارية التي تشكل، منفردة أو مجتمعة، عينة تختصر الملامح المشتركة الاساس، أو البنيوية للامة، وتعبر عنها، بحيث نقرأ الكل عبر الجزء بما هو زاوية كاشفة من زوايا رؤيته.

وبمفهوم ثان: يتخذ النموذج الحضاري بعداً آخر، اذ يعبر به عن مفهوم الحضارة ذاته[٧] عندما يتعلق الامر بمجموعة حضارات مختلفة في أصولها وأسسها ومكوناتها، فتصبح كل حضارة منها عبارة عن نموذج حضاري خاص، بما هو فرع من دوحة حضارات الانسان على مر التاريخ ؛ أي أن النموذج الحضاري هنا لم يعد جزءاً أو تعبيراً أو مظهراً، انما أصبح مرادفاً لهذه الحضارة بكليتها.

في ضوء هذين التوضيحين تكون الحضارة الاسلامية نسيج الاسلام ؛ فهو مبدأها وروحها وواضع مثلها الاعلى، ومنهج نظرتها الى الالهي والكون والحياة، وهو مشروع حياة ناسها ونظامهم الاجتماعي والروحي والسياسي، وهو نبض ثقافتهم ومدنيتهم. وفي هذا المدى يصبح الاسلام كيان الحضارة الاسلامية ووحدة أجزائها وظواهرها، فالحضارة «ليست مكاناً يكدس فيه حشد من الظواهر الحضارية تكديساً تكون فيه الواحدة بجنب الاخرى وليس بينهما علاقة، وانما هي الحضارة التي تمثل وحدة وكياناً مستقلاً يتغلغل في أجزائه المختلفة مبدأ أساسي واحد»[٨]، وتحفزه مثل عليا واحدة.

أما في مفهوم «النموذج الحضاري» الاول، فتكون الدولة الاسلامية ـ مثلاً ـ تعبيراً أصلياً عن الاسلام المتصدي لمسألة تنفيذ الشرائع والقوانين التي قررتها المشيئة الالهية لادارة وتنظيم الصيرورة البشرية من الوجود الى ما وراء الوجود في عملية تكامل دائمة، وبالتالي فان الدولة ـ هذه ـ نموذج حضاري اسلامي.

وأما في مفهوم «النموذج الحضاري» الثاني، فتكون الحضارة الاسلامية

«نموذجاً حضارياً» مستقلاً، وذلك قياساً الى حضارات «أو نماذج حضارية» اخرى عرفها تاريخ البشرية.

وهذا النص متقيد في استخدامه لمصطلحات «الحضارة»، و «النموذج الحضاري الاول»، و «النموذج الحضاري الثاني»، بالمفاهيم الثلاثة التي حددناها أعلاه، وذلك في السياق الخاص بكل منها، وموقع ورودها في النص ذاته.

تاريخ الحضارات وصراع النموذجين الحضاريين

تأسيساً على تحديدنا المنهجي السابق للحضارة وللنموذج الحضاري تنبثق أسئلة بنيانية من الاسئلة التي تطرحها ـ عادة ـ فلسفة التاريخ، وهي: الى أي مدى يصح الحديث عن «حضارات» متعددة في تاريخ الانسان؟ وبالتالي، هل ثمة وجود لفروقات جوهرية أو بنيوية بين هذه الحضارات الى درجة تصبح فيها حضارة كالحضارة الاغريقية مثلاً، حضارة مستقلة عن الحضارة الفرعونية، أو الحضارة الساسانية، أو الحضارة الاسلامية؟ واذا كانت ثمة فروقات بين هذه الحضارات، فما أصلها ومصدرها وأنواعها؟ ـ وبالتالي ـ ما القوانين التي تحكم حركة التقاطع أو المفارقة فيما بينها؟

أسئلة كثيرة اخرى من هذا النمط، مطروحة في ساحة فلسفة التاريخ وعلم اجتماع الحضارات ليس هذا النص ـ بلا ريب ـ مجال التصدي للخوض فيها والاجابة عنها بالتفصيل، لكننا أردنا التوقف عندها لحظة نظراً لاهميتها المنهجية في فهمنا للخطاب الحضاري للامام الخميني فهماً مستقيماً لا غموض فيه، وحتى ننزع عن استخدامنا للمصطلح أي ضبابية تؤدي الى حمل بعض طروحاتنا في غير ما نقصد.

وفاق هذا التوجه نعتقد أن تاريخ الحضارة الانسانية ـ كما التاريخ نفسه ـ قد عرف حضارتين اثنتين: حضارة الحق / الفطرة / التوحيد، وحضارة الباطل / المادية / الدنيوية. وهاتان الحضارتان محكومتان بالصراع والنزاع منذ فجر

الانسانية، نظراً لاختلافهما الجوهري في المصدر والاهداف والقيم. وفي خضم صراعهما التاريخي المستمر كانت للحضارة الاولى جولات، كما للاخرى. وكأنهما في حركتهما التصادمية صورة مكبرة عن حقيقة الصراع الدائم بين أصالة الفطرة، وعبادة أهواء النفس[9] في أعماق الكائن البشري: واحدة ملكوتية تشدهُ الى السماء والاخرى شيطانية تشدهُ الى الاكتفاء المادي الدنيوي: ﴿ **ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها** ﴾[10]. فالنزوعان مستمران في الانسان من المهد الى اللحد، وتلك حالهما في مسار البشر، منذ ابتدائه الى نهاية الكون التي تسبقها ـ في المفهوم التوحيدي ـ مرحلة تحقق ازهاق الباطل بكل لوازمه، وسقوط حضارته / نموذجه الحضاري نهائياً بفرج الامام المهدي وقيام دولته تحقيقاً «لمنة اللّه على المستضعفين ووسيلة لاختلافهم في الارض ووراثتهم لها»[11]، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين** ﴾[12]، وانفاذاً «لما وعد الله به المؤ منين والصالحين والمتقين في الكتب السماوية المقدسة»[13]: ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون** ﴾[14]. فسنة الحق النصر، وسنة الباطل الزهوق، قال تعالى: ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق** ﴾[15]، ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً** ﴾[16].

ان قراءة عمودية لتاريخ الحضارة البشرية قد لا تستدعي كبير عناء للاهتداء الى اصل وحقيقة هذا الصراع وجوهره. فكل من الحضارتين تصدر عن أصل وتخضع لسنن وقوانين، وتحمل حقائق ومشروعاً مختلفاً عما تحمله الاخرى، لانها ترى كل ذلك بعين خاصة، وتتحرك في اعضائها واعماقها روح من سنخ مختلف.

فحضارة الباطل تبدأ من هذا العالم وتنتهي فيه على قاعدة ان «الخير هو ان يكون لك اقوى ما يمكن من الرغبات، وان تجد الوسائل لتحقيقها» وفاق القانون اللااخلاقي «لامبريالية» اثينا[17]، الذي قام عليه صرح الغرب الحديث الذي

يقول: «مملكتي في هذا العالم وحده»[18] رداً على النصرانية التي نسب فيها الى النبي عيسى (ع): «ان مملكتي ليست من هذا العالم». وكيف لا تكون حضارة الدنيا هذه دنيوية طالما انها ذات أصل بشري، اذ وضعها البشر وصنعوها على قياس عشقهم لذواتهم، فعبدوا الحياة «بالطريقة التي يعبد بها النهم طعامه. انه يلتهمه لكنه لا يحترمه»؟![19]

هي الحضارة التي يتحرك فيها كل شيء ويتغير في الزمان والمكان، بحيث لا يعتبر صحيحاً صحة دائمة وشاملة. «واذ كان لابد من اتباع الدين فللغايات الدنيوية فقط»[20]. واذا قررت نظرة للجماعات والامم الاخرى ونظامها وتنظيمها، فعلى اساس التمييز العنصري والقهر العنفي والعصبية العرقية والاستغلال الاقتصادي والاستتباع الثقافي.

وما يصل أثينا بروما وصولا الى طليطلة، فباريس، ولندن و بون، ونيويورك، وطوكيو، أكبر بكثير من التوزع الجغرافي والقوة الاقتصادية وبورصة اسعار العملات والنفط، انه فوق كل هذا الانفجار المدمر وتحته لان اليونان والرومان في العصور السالفة وشعوب الغرب اليوم،كلهم يتحدرون من صلب حضارة مادية[21]. وها هو التاريخ المعاصر على طرفة عين يذكّرنا بامم مزقتها الضغائن القومية والاطماع، كانكلترا وامريكا واليابان والمانيا وفرنسا، وهي مع ذلك متفقة في اساسيات الحياة والمعيشة والقيم وبناها. وها هي دول المنظومة الاشتراكية التي ظلت تقول بوجود حضارتين على هذا الكوكب: «الحضارة الاشتراكية» و«الحضارة الرأسمالية»، تتهاوى الواحدة تلو الاخرى وتتسابق على اللحاق بركب النموذج الاستهلاكي الرأسمالي ويسقط جدار برلين.. الذي كان يسمى بـ «جدار العار» متزامناً مع اعلان صانع البيريسترويكا السوفياتية ميخائيل غورباتشوف في حينه[22]: «لم يعد في العالم اليوم سوى حضارة واحدة» ـ وهو لا يعني بالطبع حضارة الفطرة.

انه أكثر من تشابه، انه تطابق في الغايات، ولو افترقت السبل وكابرت

الايديولوجيات الصغيرة. «ففي ضجيج الحياة وضوضائها.. وفي تضارب العواطف والمصالح، وفي الحاح الدوافع العاجلة وضغطها، وفي صخب الاهواء وقنص الفرص تجد أبصار الغربيين لا تزول عن مثالهم الاعلى وهو تحقيق وسائل الراحة المادية والسيطرة. ان عشق هذه الغاية المثلى لا يتجلى في سياسة حضارة الباطل واقتصاده فحسب، بل يكاد يغطي كل جوانب الحياة الاساسية بما في ذلك تكنولوجيتها وفلسفتها وقوانينها وأخلاقها وممارساتها»[٢٣]. ولم لا؟ فعندما تتوحد الغايات والمثل العليا والوسائل تنصهر الحضارات في حضارة واحدة ولا يعود التفريق فيما بينها أكثر من تصنيف أكاديمي يتخذ من الاختلاف في الهوية والزمان والمكان والجيوسياسية وتنوع بعض الظواهر والتلوينات المحلية، اصبعاً يقف خلفها فيبدو هو منتفجاً متهدلاً، وهي أمامه صغيرة بلا ريش تجهد لتلمحها بوضوح.

واننا اذ نسجل بتقدير كبير القفزات العلمية الباهرة التي تحققت في الغرب، نشير بقلق أكبر الى خطورة النتائج التي ترتبت عليها في جوانية الانسان، لانها أنجبت اختزالاً ذا بعد واحد للشخصية الانسانية يتمثل في نموذج الانسان الفرعوني المنعزل عن القيم السامية، فترتب على هذا الانعزال نشوء «عقلانية معاقة تحولت الى غاية في ذاتها»[٢٤] تعاني، أيما معاناة، من سوء تغذية روحية تمنح البشر سطوة عملاق لكي تلبي حاجات قزم شرير[٢٥].

أما حضارة الحق والفطرة الالهية والتقوى فتصدر عما قبل هذا العالم وتتجلى فيه، وتستمر مسؤوليتها عنه بعده، عند باعث روحها وخالقها، مالك يوم الدين، تنبثق من الفطرة الانسانية السليمة التي تحكم بأن كل ما في الكون خاضع لقانون العلية، فلا يمكن أن نتصور ظاهرة لم يكن لها وجود في الكون ثم وجدت دونما علة وسبب، وذلك وصولاً الى مبدأ العلل والاسباب ـ اللّه سبحانه ـ من هذا القانون نستنتج أم أجزاء الكون كلها مترابطة وذات تأثير متبادل، بما في ذلك الانسان باعتباره ظاهرة كونية يرتبط وجودها بسائر

الموجودات وتتداخل فيها، وتتدخل، عوامل لاحد لها ولا حصر، تخضع لارادة خالقها تبارك وتعالى، وتستمر حياتها بعد الحياة[٢٦]: ﴿ **قل اللّـه يـحييكم ثـم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه** ﴾[٢٧]. إلّا أن الانسان / الظاهرة الكونية ليس موجوداً عادياً ولا ظاهرة كسائر الظواهر، بل المتصدي، فوق هذا وذاك، لمنّة خلافة اللّه في الأرض.

وفي الوقت الذي تعتبر الحضارة الدنيوية فيه أن الانسان حيوان عاقل، فإنَّ القرآن يرفعه الى سدة نيابة اللّه في العالم باعتباره من روحـه: ﴿**واذ قـال ربك للملائكة اني خالق بشراً من صلصال من حمإٍ مسنون، فاذا سويته ونـفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلّا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين**﴾[٢٨]. ﴿**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم فـي البـر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾[٢٩].

ان الاسلام في هذه الآيات، وهو يقدم في الانسان، وله، حضوراً ومشروعاً حـضاريين لا مـثيل لهـما، وعـندما يـقلّده «أعـلى مـراتب المـوجودية بـين الموجودات» ـ بتعبير صدر المتألهين ـ[٣٠]، فينصِّبه ـ فضلاً وتكـريماً ـ خـليفة وسيّداً في الارض وما عليها، فانما يلزمه مسؤوليات جساماً، ويؤسس لتنظيم المجتمع الانساني ويصنع رؤيته الحضارية، فادارة الانسـان للـحياة والعـالم، علىالمستويين الفردي والجماعي، تعني اطـلاق طـاقاته الروحـية والعـقلية والمادية فيهما، كما تعني اطلاق طاقاته الروحية والفكرية في قيادة هذا العالم على أساس «حفظ توازن الموقف البشري في الارض»[٣١] بين قـوى الانسـان الروحية وقواه المادية في ظل السنن الالهية وبهديها، وتلك قضية مـركّبة فـي قضايا بالغة التعقيد، ولذلك لم تترك العناية الالهية الانسان ـ وهي تحمّله كل هذه المسؤوليات ـ وشأنه، بل قدّمت إليـه دليـل العـمل الذي لا يـخيب فـي أدق التفاصيل العامة والخاصة، مما يحميه من أسباب التفكك والتدمير الذاتي، فاذا استمسك بعروته الوثقى نجا في الدنيا والآخرة، واذا أهمله هلك فـي كـلتيهما،

ولعل هذا المدار المنهجي هو أحد الاسباب الكبيرة التي تفسر انهيار أمم وسقوطها الكامل[٣٢].

ان الاسلام، بما هو روح الحضارة الاسلامية: «حقيقة، وله حكم في جميع شؤون الانسان المادية والمعنوية الى حيث لا يصل ادراككم له»[٣٣] في اطار خطة تربوية شاملة لا يفارق فيها النظري العملي قيد أنملة. وتلك الحقيقة مشادة علىأنابة الجماعة البشرية في «الحكم وقيادة الكون واعماره اجتماعياً وطبيعياً»[٣٤]، ومن أساسها تشكلت في الحضارة الاسلامية النظرية السياسية وبنى الحكومة ونظام القيم الانسانية، وذلك عبر «حكم الناس لانفسهم، وشرعية ممارسة الجماعة البشرية حكم نفسها»[٣٥] وادارتها حياتها ونظامها بوصفها مستخلَفةً في العالم، وبالتالي فهي غير مطلقة الحركة والتدبر «وغير مخوّلة أن تحكم بهواها أو باجتهادها المنفصل عن توجيه الله سبحانه وتعالى، لان هذا يتنافى وطبيعة الاستخلاف»[٣٦].

وفاق هذا النموذج الحضاري الالهي، يمنهج الاسلام دورة الانسان في العالم ويحفظ توازنها، ويربطها بمصدريّتها ويشرِّع لها قوانينها العملية، فيتحول الاستخلاف الالهي للانسان الى حركة مستمرة لكدح نحو اللامحدود والمطلق في اطار الانضباط بين ارادة الانسان وحريته ومسؤولياته من جهة، والارادة الالهية / الفعل من جهة اخرى، وبين الانسان والانسان، وبينهما وبين الارض.

في هذا المدى التفاؤلي تقرأ الحضارة الاسلامية الوجود عندما تحرّر الانسان من العبودية للعالم فتجعله وصياً عليه، وتخلّصه من جبرية الخيارات المادية باتجاه انماء قابلياته الكامنة انماء كاملاً متكاملاً، وتطويرها، وجعله مسؤولاً عن مصيره، فما من امرئ يولد ومعه لعنة الخلود في النار أو بطاقة السفر الحتمي الى الجنة، لكن مصيره هو ما تقرره أعماله ومدى التزامه أو مفارقته نظام القيم الالهي لمسيرة البشرية[٣٧].

هوامش الفصل الاول

(١) الاعراف، الآية ١٨١.

(٢) البقرة، الآية ٢٥٦.

(٣) راجع: سليمان، سمير، الاندلس والغرب .. صراع النموذجين الحضاريين وبدايات الاستشراق، ص ١٨.

(٤) الخميني، الامام روح الله، مختارات من أقوال الامام الخميني، الترجمة العربية، ج ٣، ص ٢٩.

(٥) انظر نظرية المثل العليا عند الامم في:
ـ الصدر، محمد باقر، مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن، ص ١٣٣ وما بعدها.

(٦) صديقي، عبد الحليم، تفسير التاريخ، الترجمة العربية، ص ٢٣.

(7) Garaudy, Roger - "Appel aux Vivants" - P. 20.

(٨) صديقي، عبد الحليم، تفسير التاريخ، ص ٢٤.

(٩) عبد الغفور، عبد الرؤوف، دراسات في علم النفس الاسلامي، القسم الاول، ص ١٤ وما بعدها.

(١٠) الشمس، الآية ٧ ـ ٨.

(١١) المطهري، مرتضى، نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، الترجمة العربية، ص ٤٦.

(١٢) القصص، الآية ٥.

(١٣) المطهري، نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، مصدر سابق.

(١٤) الانبياء، الآية ١٠٥.

(١٥) الانبياء، الآية ١٨.

(١٦) الاسراء، الآية ٨١.

(17) Garaudy, Roger- (O.P.Cit) P.19 .

(١٨) أسد، محمد، الاسلام على مفترق الطرق، الترجمة العربية، ص ٣٠.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٢٩.

(٢٠) صديقي، تفسير التاريخ، مصدر سابق، ص ٣٣.

(٢١) أسد، الاسلام على مفترق الطرق، مصدر سابق، ص ٤٩ وما بعدها.

(٢٢) تاريخ كتابتنا لهذه الفكرة هو أواخر

تشرين الثاني من عام ١٩٨٩م.

(٢٣) صديقي، تفسير التاريخ، مصدر سابق، ص ٢٣ ـ ٢٤.

(24) Garaudy, Roger- (O.P.Cit) P.51 .

(٢٥) سليمان، سمير، خطاب العلم في القرآن، مجلة الثقافة الاسلامية، دمشق، العدد ٥، ١٩٨٦، ص ١٨٥.

(٢٦) راجع : الطباطبائي، محمد حسين، الاسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي، الترجمة العربية، ص ٣٣.

(٢٧) الجاثية، الآية ٢٦.

(٢٨) الحجر، الآية ٢٨ ـ ٣١.

(٢٩) الاسراء، الآية ٧٠.

(٣٠) الشيرازي، صدر الدين، الحكمة المتعالية، الجزء الاول من السفر الثالث، ص ٢٧٧.

(٣١) خليل، عماد الدين، التفسير الاسلامي للتاريخ، ص ٣٠٠.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٣٠١.

(٣٣) الخميني، مختارات من أقوال الامام الخميني، مصدر سابق، ج ٢، ص ٨٤.

(٣٤) الصدر، محمد باقر، الاسلام يقود الحياة، ص ١٣٤.

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٣٦.

(٣٧) راجع : سليمان، سمير، خطاب العلم في القرآن، ص ١٧٧ ـ ١٧٩.

الفصل الثاني

الامام والنموذج الحضاري

الامام وصراع النموذجين الحضاريين

من روح هذا المشروع الاسلامي الحضاري للعالم، كان الامام الخميني، ولواء الدعوة اليه والاستنهاض به حَمَلَ، وعقيدته ومبادئه اعتنق، وبأحكامه وحدوده عمل، وعلى خط الانبياء والرسل والأئمة سار، مستنهضاً ومربياً وثائراً وشاهداً، والمسلمون ظهرهم الى الجدار والمأزق الحضاري والوجودي في الاوج.

كان مشروع حضارة الباطل قد اكتسح صدر الامة وتكرَّس كمشروع منتصر في العالم، بعد ما هزم كل الآخرين واقتلعهم من جذورهم وذواتهم، واستوعبهم. اما الاسلام فكان قد تحول الى مجموعة اسفار مجيدة تنوء بأثقالها الظهور المكسورة، فأودعتها رفوف المكتبات الدهرية أو فيما خلف الذاكرة مبددة التأثير، أو متروكة لعبث مستشرقي الداخل والخارج، وأخرج القرآن من الساحة «حتى كأنه فقد دوره في الهداية»[1]. لمشروع الباطل ذاك، ومن مستنقع الهزيمة السائدة قام الامام متصدياً، اماماً ملكوتياً، راسخاً في علم باطن الشريعة وظاهرها ومبيناً للحقائق الالهية، ومرتقياً نحو «عز الربوبية بذل العبودية»[2]، ومرجعاً دينياً، ومفكراً مجدداً، وحكيماً فذاً، وقائداً سياسياً هادياً.. بتلك كان الامام، وبها استعادت الامة امامتها ودورها.

لقد عرفت البشرية على مدى الزمن قادة كباراً ومصلحين وتغييريين كثراً، لكنهم جميعاً ظلوا دون مرتبة الانبياء والاوصياء والصديقين، كما عرفت دعاة ورساليين في شتى المجالات، غير أنهم لم يرتقوا الى درجة الاولياء الصالحين،

ولم يشكلوا انعطافاً تاريخياً نوعياً، بحيث يكوّن جهدهم وتراثهم وكفاحهم طفرة كبرى، وارتجاجاً في عقل العالم وروحه، وانشعاباً في مساره. وليس عبثاً أن لا يسجّل التاريخ طفرة حقيقية إلّا وكانت مسجلة باسم واحد ـ أو أكثر ـ من اولئك الرساليين الالهيين الذين عرفتهم البشرية. لكأنما ثمة سنة الهية لا تمنح فضل تحقيق تغيير في المسار التاريخي للانسانية إلّا لِحَمَلة المشروع الالهي من خاصة أوليائه، ممن فتح باب الملكوت أمامهم في مراتب حددها اللّه تبارك وتعالى، متدرجين من النبوة فالامامة والولاية والوصاية فالنيابة، ومن المعصومية الى ما يتلوها موقعاً، بحيث تتماسك هذه المراتب وتتدرج من أعلى الى أسفل مشدودة باحكام الهي الى محور واحد هو عقيدة التوحيد المتجلّية بحضارة التوحيد المحتضنة محتواه. فاذا الامام الخميني، سليل هذه الدوحة، فيه بابراهيمَ وموسى وعيسى ومحمد (ص) والائمة (ع)، قربى الروح وغائية الهدف الواحد، والسبيل الواحد على طريق القضية الواحدة، والى ذلك كله ايمان الامام بربه، وايمان بشعبه لا يصرفه عنه شيء[٣]، فزاده اللّه هدى.

أذنّ الامام: «حيَّ على خير العمل» فَبُعثت حضارة التوحيد من جديد، مشمرة للصلاة واستئناف مسيرتها الجهادية ـ كما الامة ـ في وجه حضارة المادة والباطل، لتستعيد مسؤولية اضطلاعها بحمل مشروعها الالهي، وتعيد تجديد عهد الاستخلاف الرباني للانسان في الارض، بعدما طال زمان نكوثها به قروناً عديدة.

وليس المقصود بفعل التلبية هذا أن الامة الاسلامية قد قفزت قفزاً ميكانيكياً من عتمة الذات والتاريخ الى وهج الرسالية مرة واحدة، وبطرفة عين، فالنقلات الحضارية للامم ـ ولو باندفاع ثوري ـ لا تكون بهذا «السحر الآلي»، لكن المقصود أن الامام شق تلك العتمة بجراة الايمان الالهي ليعيد بعث الرسالة

بالامة، وبعث الامة بالرسالة، وليميط عنها أغشية الاخفاء وحُجُب التسيُّب الروحي وهجوع الحركة، ولم يُطل الامر بالنفوس الموصدة والقلوب المقفلة حتى استقامت لتعي حقيقة غفلتها وأسبابها و «تنتقم» منها بصحوات ذاتها المستعادة، فسارعت الى طيِّ تاريخ الذلة، وقفزت فوق التطور التاريخي ومسافات الزمن كأنما تمارس فعل «إسراء» جديد تتماهى فيه، وتكسر أسوار قطيعتها مع السماء، وتعيد تقويم مسيرتها في الارض بهدي تعاليم السماء، فتنكشف أمامها معالم المسار الصحيح، وينمحي الزمن في فعل التجرُّؤ على الموت.

لم يَسُدِ الصمت والسكون لحظةً في وجدان الامام، اذ سرعان ما انبرى لعصره، بعد أن اختزن في وعيه تاريخ الامس المشرق، ليغري مْكنونه، ويستجلي مواطن الدَّاء، ويشخص مواضع الخلل، والدنيا من حوله مطوقة بالاضواء الخلب والاشياء، حتى عَشِيَتْ الشعوب المغلوبة وكادت تفقد حتى البصر، بعدما تم افقادها البصيرة، واذا العالم عالمان: عالم المستضعفين، وعالم الطاغوت والاستكبار المتمادي في نهش جسد العالم الاول ولعق دمائه. بينما الاسلام / الخلاص أسير التخلف والتبعية والمسخ والإبعاد والبدع، فشهر الامام علمه وأظهره، ولم يكن الاظهار إلّا التزاماً بأحكام اللّه وشريعته، وامتثالاً لامره ومشروعه للبشر كافة.

بعين الاسلام ومنهج الرؤية فيه نظر الامام الخميني الى العالم فلم يجد سوى نموذجين حضاريين اذن: نموذج الاستضعاف وفيه المسلمون، ونموذج الطاغوت الجامع لكل قوى الباطل واتباعها في الارض. وقد سماهما الامام: «طريقين: طريق اللّه وطريق الطاغوت»[٤]، وليس ثمة طريق ثالث، ومصطلح «الطاغوت» قرآني كما نعلم، وفاق قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أولياؤهم

الطاغوت﴾[٥،٦] أما مصطلح الطريق الآخر فمصدره الآية الكريمة: **﴿اللّه ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور﴾**[٧]، وذلك استناداً الى رأي الامام نفسه[٨]. والطريقان المنوه بهما متطابقان مع مفهوم الحضارتين / النموذجين الحضاريين اللذين عرضنا لهما في الصفحات السابقة: نموذج حضارة الحق، ونموذج حضارة الباطل.

أمّا طريق اللّه / النموذج الحضاري الاسلامي،فهو الطريق الذي «يجعل الانسان مهتدياً في جميع جوانب حياته: في الجانب العقلي، وفي الجانب المتوسط الذي هو الجانب الخيالي، وفي الجانب التنزلي وهو جانب العمل، فاذا سار (الناس) على هذا الصراط المستقيم فهم إلهيون، فالطريق طريق اللّه، وكل من سلك هذا الطريق هو إلهي، حتى يكون كل شيء من الانسان في أعماله وحركاته، وفي تخيلاته، وفي تعقلاته إلهياً» ارتكازاً الى تحديد الامام[٩].

أمّا طريق الطاغوت / النموذج الحضاري الباطل فهو ـ عنده ـ طريق الظلمات: «طريق ظلمات العالم كله الذي لا يتوجه الى اللّه»[١٠] ـ على حد تعبير الامام ـ باعتبار طريق اللّه وحدها هي الطريق الى النور «والنور هو نور اللّه المطلق الذي يجب أن يتوجه العالم كله نحوه»[١١]. فكل ما هو خلاف التوحيد «هو الكفر وهو الطاغوت ونهايته الى جهنم»[١٢]. وبالتالي، فانّ «كلّ حركة يقوم بها الانسان، سواء كانت قلبية أو روحية، أو حركة عضوية، ليست خارج هذين الحدين»[١٣] / النموذجين الحضاريين، فاما أن تكون باتجاه الصراط المستقيم الى اللّه، واما باتجاه «الطاغوت المنحرف نحو اليسار أو نحو اليمين»[١٤].

الى هذا المنهج اذن يستدل الامام بالقرآن، وبجوهر رسالات الانبياء وأهدافها فيقول: «وقد أنعم اللّه علينا بمجيء الانبياء ليهدونا الى طريق اللّه الذي يوجب ايصال العالم بأسره الى السعادة والعيش براحة وأمان في

جو من التربية الصحيحة، ويعيدوا الناس الى مسار التوحيد الالهي.. هذا طريق اللّه.. فعلينا جميعاً أن نتحرك في هذا الطريق... والذين يدعون الى غيره يوجّهون الناس الى خلاف مسيرهم الطبيعي و مسير فطرتهم هم الضالون، وهم الطواغيت»[15].

نحن أمام نموذجين حضاريين مختلفين في مفهومهما ومنطلقاتهما وأهدافهما ونظرتيهما الى الانسان والحياة والتاريخ والطبيعة وما وراءها، ولا تصالح بينهما، فالصراع بينهما ـ أي بين الحق والباطل ـ هو الذي يحكم علاقتهما: نموذج يشد الارض الى السماء، ونموذج يشد الارض الى الارض، واذا كان بعض حواريي النموذج الثاني يرفعون أنظارهم نحو السماء، فانهم يفعلون ذلك بعد أن استنزلوا الههم من السماء الى الارض وجسَّدوه في كائن أرضي[16] أو حوّلوه الى عجوزٍ بهي الطلعة يقطن السماء، أما الارض فهي لقيصر، وقد نسخت رسالة اللّه وسخرت لخدمة الطواغيت، بينما النموذج الاول / التوحيدي يقول باتجاه موجودات العالم «في اتجاه واحد، ونحو مركز تكامل واحد وفق نظام منسجم»[17]، كما يقول «بوحدة الكائن الانساني في محتواه الداخلي، وفي حركته التكاملية الانسانية ووحدة المجتمع الانساني في نظمه واتجاه حركته»[18] على طريق عبودية اللّه الواحد الاحد، لذلك حمل بالاسلام «في يد منطقاً ودعوة ومنهجاً في التربية والتعليم لخلق انسان ذي محتوى داخلي موحد.. وحمل في يد اخرى سيفاً لاقتلاع جذور العلاقات الانسانية الظالمة، وللاطاحة بالطبقية، ولتحطيم الطواغيت»[19].

لقد تماهى النموذج الحضاري الاسلامي في الامام، وتماهى الامام فيه، فانفلق من هذين التماهيين موجٌ طامٍ لَجِبٌ قَلبَ بفعله معادلات الواقع والتاريخ والحديث والحياة، واستوت بفضله سفينة الامة مصححة مسيرتها

الى قبلتها الاصلية.

فأنقذ الامام المشروع الحضاري الاسلامي، كما أنقذ نوح بفلكه نسل الحياة، وكان فعله الانقاذي بذاته نموذجاً حضارياً الهياً على هـدى خـط الرسـالات والانبياء.

ان الظلام كثيف المرور على معابر العصور والتاريخ، أما في عصرنا هذا فان اشتداد حلكته قد أمات الحواس والاحساسيس وسوّد العـقول، وبـدا الظـلام سرمدياً.. حتى جاء الامام واختزله لحظات جهالة وغفلة، اذ أنار طريق اللّـه، مندفعاً لاستنهاض المسلمين والعالم اليه، مجاهداً لاسقاط «الانا» الدنيوية بكل امتداداتها، وقطع جذور التبني لنـموذجها الحـضاري والارتـماء فـي تـبعيته، وذلك بـالعودة الى الاسـلام، «لا كـتقليد أو وراثـة»[٢٠] أو تـراث مـتحفي، بـل كـ «ايديولوجية» وتصوّر لما يجب أن يكون، وكنظام خلاص وحياة بعيداً عن العموميات الذهنية التي ابتدعتها حضارة الباطل وحاولت من خـلالها «الغـاء أصالة البشر الثقافية في العالم كله»[٢١] وارساء دعائم «المبدئية المـطلقة لقـيم الغرب»[٢٢] مكانها لتكون «كبديل عن ضائع» بحيث لا تجد الامم المسـتضعفة أمامها سوى خيارين «حتميين» فرضهما الطاغوت: اما الانتحار في الاستمرار بالبدائية والتوحش، واما الحياة في «فردوس» الاستتباع والاستلاب في ظـل حضارة الغرب «العظمى».

وبذلك حشر الغرب المتفوق العالم الاسلامي بين مطرقة التحول الى «غربي علماني مُعصرَن» وسندان التخلف والاندثار[٢٣]، وقـد انـطلت هـذه الاكـذوبة «الاختيارية» على الكثيرين من قادة العـالم المـظلوم المـعاصرين، وهـا هـو مصطفى كمال أتاتورك ـ الذي اعتبره «أرنولد توينبي»: «حسن حـظ للشـعب التركي»[٢٤] ـ يسارع الى فرض «الاستقلال الكلي عن أية مـرجـعية للاسـلام»

على الشعب التركي، مستظلاً بشعاره الشهير: «اما أن تصبح عصرياً، واما أن تزول من الوجود»[٢٥] فتخلّف العالم الاسلامي عنده «سببه الاسلام نفسه»[٢٦،٢٧]

من هنا نفهم أصلاً مهماً من أصول ثورة الامام الخميني بالاسلام على نظام الشاه، باعتبارها ثورة على المحتوى الحضاري لذلك الطاغوت، عندما أكد الامام «أن المدنية التي فرضوها أيام الشاه.. هي مدنية أسوأ من التوحش»[٢٨]، «وحينما يزعم الشاه بأنه يسير بايران نحو بوابة (الحضارة العظمى) فانما هو يكذب»[٢٩].

الامام والمشروع الحضاري الاسلامي

قد يبدو الحديث عن الامام الخميني والمشروع الحضاري الاسلامي، وكأنه حديث كما المألوف في الانماط المشابهة، عن مُنَظِّر ونظريته، أو منظِّر ونظرية، مما يقتضي - بالتالي - طرح موضوع بات من قبيل لوازم الفكر السياسي المستهلك وتداعيات العلاقة بين الفكر والواقع،وهو موضوع: النظرية والتطبيق.

وربما يصح طرح هذه المسائل كافة في فكر المفكرين الارضيين، ومدى امكانية اسقاط نظرياتهم على الواقع المعيش في شتى الشؤون. أما في موضوع فكر الامام الخميني فالقضية غير مطروحة من أساسها، لان الامام ينطلق ويتكامل ويحاكي «فكراً» منزَّلاً، ولان فكره منبثق من السماوي المطلق الكامل. بينما نجد أن المفكر الارضي، في تفكيره الارضي، لا يمكن أن يصدر عنه إلّا فكر ناقص، لانه بذاته ناقص، والكامل وحده يستوعب الناقص، وليس العكس صحيحاً. وتلك مسألة حضارية جوهرية يختلف فيها منهج الفكر في الاسلام عن المنهج الارضي اختلافاً بنيانياً.

وعلى هذا الاساس يكون من باب التعسف ـ عندنا ـ اعتبار الامام «مُنَظِّراً»، بالمعنى الرائج للمصطلح. ولسنا ندري ـ استطراداً ـ ما اذا كان الكلام على«التنظير» في الاسلام، وأيضاً بالمعنى المتعارف عليه للمصطلح، جائزاً ودقيقاً. وقد يكون من نافل القول في هذا السياق، اننا لسنا في مجال مناقشة مسألة الفكر أو التفكير في الاسلام هاهنا، فتلك مسألة اخرى لها في النص القرآني خطاب متكامل يتوزع على ثلاثمئة موضع أو تزيد[٣٠]، وتستدعي بحثاً مستقلاً.

في هذا السياق ـ نعتقد ـ من جهة اخرى ـ بعدم وجود نظرية منفصلة عن التطبيق في المشروع الحضاري الاسلامي، وخصوصاً في قضية الامامة والولاية بما هي قضية مبدئية من قضايا هذا المشروع. «فالنظرية» فعل انساني، و«التنظير» من شأن البشر. أما في الالهي فثمة أحكام وشرائع وأوامر ونواه وسنن لا مجال للشك في صحتها ومصداقيتها وخيرها لمصلحة المستخلَف البشري على الارض. وأهم من ذلك كله ان الاخلال بها والنكوص عنها، مستوجباً لاعباء ومسؤوليات وعقوبات موصوفة في الدنيا والآخرة. وليس الامام ـ أو من هم في موقعه ـ بمثابة منظِّرين، بل «علماء بالقانون الاسلامي»[٣١] الالهي، ومتصدون لبيان أحكام اللّه عز وجل واقامة حدوده وتنفيذ ما أمر به وما نهى عنه، متحقق فيهم، الى جانب الاعلمية، شرط ضروري آخر هو العدالة[٣٢]، على أساس أن «العلم بالقانون، والعدالة، هما ركنان من أهم أركان الامامة»[٣٣]، أي أن فقاهتهم وعلمهم ادراكان حصوليان لموجود متنزل من لدن اللّه سبحانه. انهما بتعبير آخر: أرضيان يكدحان الى السماوي، بما هو أيضاً مقرر لخدمة الارضيين وصلاحهم، في الحياة وفيما بعد الحياة، في تكامل ارتقائي لا ينقطع، ومتى كان السماوي منفصلاً عن الارضي؟!

والعلم والعدالة مستدعيان لشرط ثالث مستكن فيهما ضرورة هو شرط الكفاية، فمسألة الكفاية «داخلة في العلم بنطاقه الواسع»[٣٤]، وهي الى ذلك لازمة للعدالة التي لا تستتم إلّا بها.

من باب العلم والعدالة والكفاية، اذن، يدلف الفقيه الى موقع السلطة والحاكمية ولياً يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي والائمة(ع) منها، فوجب على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا. «فللفقيه العادل جميع ما للرسول والائمة الطاهرين عليهم السلام مما يرجع الى الحكومة والسياسة، ولا يعقل الفرق، لان الوالي ـ أي شخص كان ـ هو مجري أحكام الشريعة، والمقيم للحدود الالهية، والآخذ للخراج وسائر الماليات، والمتصرف فيها بما هو صلاح المسلمين»[٣٥] ـ وفاق قول الامام الخميني ـ فهل كان النبي (ص) منظراً؟ وهل كان الوصي منظراً؟

«ان فضائلهما لم تكن تخولهما أن يخالفا تعاليم الشرع، أو أن يتحكما بالناس بعيداً عن أمر اللّه»[٣٦]، بتعبير الامام الخميني. فمهمتاهما تتصديان للشأن الاجرائي التنفيذي فيما هما موكلتان به أساساً في تكليفهما الشامل، وهما في الموقع الجليل الذي شاءه الرحمن لهما، فاذا كان هذا شأن النبي والوصي على المستوى التنفيذي، فأحرى أن يكون الفقيه الحاكم في هذا الجانب متمسكاً بذات المنهج، خاصة وأنه يملك «من أمر الادارة والرعاية والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول (ص) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، على ما يمتاز به كل من الرسول والامام من فضائل ومناقب خاصة»[٣٧].

ولا ينبغي أن يساء فهم ما تقدم فيظن ظان اننا ننزع عن الفقاهة الكيفية العادلة حق الفكر والابداع الفكري، فهذا شأن هو من باب «تحصيل الحاصل». فأنى للفقاهة العادلة الكفية أن تكون كذلك من غير فكر مبدع؟. ومن قال: ان

الفقيه المجتهد الموصوف بالعدل هو حاسب آلي مبرمج ومتخصص في اصدار الفتاوى وتصنيفها؟

ليس الامام الخميني ـ اذن ـ منظراً، بل هو حامل المشروع الحضاري الاسلامي الذي هو بذاته «نظريتُهُ» الالهية ودليل هدايته وحافظها. فقد أعاد الامام اليه ما أفقده العباد من زخم الفعالية بعد أن جهلوه فهجروه.

لقد هاجر إليه الامام مستعيداً ومستنقذاً، وثار به وله وفاق ذات المنهج النبوي والامامي. وكلُّ تميُّزٍ حضاري برز في مسيرته، وكل فعل، واجدان أصلهما ومبدأهما وحكمتهما في الاسلام كتاباً وسنة. كيف لا؟ وللاسلام حكم في جميع شؤون حياة الانسان المادية والمعنوية «الى حيث لا يصل ادراككم اليه»، كما سبق وأشرنا وبعتبير الامام نفسه.

في انتظام هذه المسيرة التاريخية وانضباطها داخل أطر المشروع الحضاري للاسلام ؛ لاحظ الدارسون ثلاث مراحل أساس: مرحلة الاستنهاض والتبليغ، ومرحلة الثورة، ومرحلة تأسيس الحكومة الاسلامية واطلاق عقال الدولة.

لكن هذا التصنيف ـ في رأينا ـ مجرّد ضَبطٍ كلاسيكي وأفقي لمراحل تقليدية مرت بها ثورات تاريخية عديدة عرفها العالم ؛ وبالتالي فهو لا ينطبق تماماً على طبيعة ومنطق ومجريات الثورة الاسلامية في ايران، كما أنه مخالف للنموذج الحضاري الثوري منظوراً اليه بمنهج الاسلام ومعاييره.

إننا اذ نقول بوجود «مراحل» ثورية متدرجة من الدعوة، الى الثورة، الى الدولة، فذلك يعني ان الدعوة تنتهي بانفجار الثورة، وأن الثورة تنتهي بنشوء الدولة ووصول الامة الى حالة الثبات والسكونية والاستقرار متدبرة شؤونها، مرتدّة الى جوّانيتها تتشرنق فيها في نظام معيش الأُمم وعلاقاتها «المستقرة»، في حدود دولة يُصطَلح على تسميتها بالدولة الستاتيكية داخل حكومة استاتيكية.

هذا المسار الثبوتي السكوني، مسار مسطح أفقي، يفهم حركة البشر بمنهج دينامي أمامي (بفتح الهمزة)، بينما يراه الاسلام ـ والامام الخميني حامل لوائه ـ بمنهج دينامي آخر قائم على ارتقاء لولبي باتجاه المثل الاعلى الالهي: **﴿يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه﴾**[38].

«فالانسانية بمجموعها تكدح نحو اللّه سبحانه، والكدح.. يعني السير المستمر بالمعاناة والجهد والمجاهدة.. بل هو سير ارتقائي، هو تصاعد وتكامل»[39] من هذا العالم الى العالم العلوي، وبين هذا العالم والعالم العلوي.

يقول الامام الخميني في اشارة الى الآية السادسة من فاتحة كتاب اللّه التي يرددها المسلم في صلاته عشر مرات كل يوم **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾**: «الصراط المستقيم أحد رأسيه هنا، والرأس الآخر في ذلك الجانب من العالم، مبدأ النور.. والذين يدعون الى غير هذا الطريق هم الطواغيت»[40،41].

لكن هذا الارتقاء ليس ارتقاء عمودياً بالمعنى الرياضي للكلمة. انه لولبي بحيث تصاعد الامة فيه من خلال دوائره، وكل واحدة منها تشكل مرحلة تطورية من مراحل صعود المشروع الحضاري الاسلامي باتجاه مثله الاعلى الرباني، وتتكامل فيها الدعوة بالثورة والدولة، وتحتضن الثورة المرتقية الدعوة والدولة، وترتفع الدولة الى الدعوة والثورة فتدفعهما باتجاه حركة تصاعدية جديدة.. وهكذا يتطور المشروع الاسلامي وينمو بحركة الامة وعبورها التاريخي ليعم العالم، وتتحقق أهداف الاستخلاف الالهي للانسان على الارض.

وهكذا تتوحد الدعوة والتبليغ والثورة والدولة في مدار واحد فلا تكتفي احداها بذاتها أبداً، وتغدو الدعوة دائمة والثورة دائمة والحكومة مستمرة النمو والتوسع والتقدم. لكن الدعوة تبقى الثابت التأسيسي والمواكب.

ألا يتخذ الشعار المسمى ـ بتعبير عربي غير دقيق ـ «تصدير الثورة» محتواه من هذا البعد المنهجي.

ان المشروع الاسلامي الذي كان باعث الامام، وبسبب من جهوزيته، يختزن في ثناياه ـ بلا ريب ـ كل مراحل الثورات بشكلها الكلاسيكي دفعة واحدة، كذلك كان ـ بالاسلام ـ منذ بعثة النبي وصولاً الى انتقاله الى الرفيق الاعلى وفي ثورة الامام الحسين وجهاد الائمة، وكذلك هو في ثورة الامام الخميني عندما بدأها في كل شيء على كل شيء ـ من الاسلام بالاسلام الى الاسلام ـ لاسقاط الطاغوت. فمنذ اللحظة الاولى قام بفعل التثوير ليحكم الاسلام. انه في قلب دائرة التثوير الدائم التكاملي، بحيث تمثل كل نقطة في هذه الدائرة، كل أنشطة الثورة الحيوية بغية ايصالها الى الهدف المنشود.

في هذا المنهج الوحدوي التوحيدي يمكننا ـ اصطلاحاً ـ الكلام علىموضوعات في الثورة الاسلامية القابضة على المشروع الحضاري للاسلام، أو على مفاهيم تثوير هذا المشروع، وليس على مراحله، فندرس موضوع / مفهوم التبليغ والاستنهاض، وموضوع / مفهوم الثورة، وموضوع / مفهوم الحكومة والدولة، مؤكدين على مسلمة سبق لنا وناقشناها، وقوامها أن الاسلامي في مسألة الفكر متحدر من الالهي، ومتنزل عنه، اضافة الى اعتقادنا بتعذر فصل «النظرية» عن التطبيق هاهنا، وبالتالي تعذر امكانية الحديث عن مفهوم / تصور مستقل عن «كيفيته» وأهدافه، قال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾[٤٢] فالكلم الطيب هو «الاعتقادات الحقة التي يسعد الانسان بالاذعان لها وبناء عمله عليها ـ وهي التوحيد ـ ثم ان الاعتقاد والايمان اذا كانا صادقين حقاً، صدقهما العمل ولم يكذبهما.. فالعمل من فروع العلم وآثاره التي لا تنفك عنه»[٤٣] بما هو معرفة بحقائق الاعتقاد والايمان.

و«اذا آمن الانسان باللّه تعالى، ورآه بعين القلب كمايرى الشمس ببصره فانه من غير الممكن أن يرتكب أي ذنب» أو معصية، وفاق رأي الامام الخميني[٤٤]. وليست العبادة بالنسبة الى العابد الحقيقي سوى «عهد»، وما الحياة إلّا ساحة الوفاء بهذا العهد[٤٥].

قياماً للوفاء بهذا العهد، وتشبثاً بأصوله التكوينية وبنموذجيته الحضارية، واتحاداً فيها تجلت امامية الامام فاذا به نموذج للعالم الفقيه المسلم ونموذج للعارف المسلم ونموذج للمستنهض المسلم ونموج للثائر المسلم ونموذج للعابد المسلم العاشق لعبوديته، ونموذج للقائد المسلم.. انه نموذج للانسان الالهي الذي تتوحد فيه هذه النماذج الحضارية كلها وتتذوب.

هوامش الفصل الثاني

(١) الخيمني، الامام روح الله، الوصية السياسية الالهية للامام الخميني، الترجمة العربية.

(٢) الخميني، الامام روح الله، الاداب المعنوية للصلاة، الترجمة العربية، ص ٣٢.

(٣) المطهري، مرتضى، مقالات حول الثورة الاسلامية في ايران، الترجمة العربية، ص ٢٢.

(٤) الخميني، الامام روح الله، مختارات...، الجزء ٢، ص ١٢٧.

(٥) البقرة، الآية ٢٥٧.

(٦) ورد ذكر «الطاغوت» في القرآن ثماني مرات في السور التالية : البقرة، الآية ٢٥٦، البقرة، الآية ٢٥٧، النساء، الآية ٥١، النساء، الآية ٦٠، النساء، الآية ٧٦، المائدة، الآية ٦٠، النحل، الآية ٣٦، الزمر، الآية ١٧.

(٧) البقرة، الآية ٢٥٧.

(٨) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٢٨.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) المصدر نفسه.

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) المصدر نفسه.

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

(١٦) الصدر، محمد باقر، الاسلام يقود الحياة، ص ٢٠٤.

(١٧) المطهري، مرتضى، المفهوم التوحيدي للعالم، الترجمة العربية، ص ١٤.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(١٩) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٢٠) شريعتي، علي، العودة الى الذات، الترجمة العربية، ص ٣٦.

(٢١) المصدر نفسه.

(٢٢) المصدر نفسه.

(23) RONDOT , Pierre _ "L,-islam" P.P.96 Ct 232 .

(٢٤) توينبي، أرنولد، تاريخ البشرية،

الترجمة العربية، ج ٢، ص ٢٦١.

(٢٥) سكارسيا، ماريا بيانكا، العالم الاسلامي وقضاياه التاريخية، الترجمة العربية، ص ١٥٥ـ١٥٦.

(26) PELLEGRIN, Arthur- "L,Islam dams Le Monde" P.111'

(٢٧) راجع أيضاً: بحثنا: الاسلام واشكالية المنهج في الخطاب المعرفي الغربي، مجلة العرفان، بيروت، العدد، ٦و٧و٨، المجلد الخامس والسبعون، ١٤٠٨هـ ص ٦١.

(٢٨) الخميني، روح الله، مختارات، ج ٢، ص ٧٥.

(٢٩) الخميني، روح الله، دروس في الجهاد، الترجمة العربية، ص ٣١٧.

(٣٠) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مج ٥، ص ٢٥٥.

(٣١) الخميني، روح الله، الحكومة الاسلامية، الترجمة العربية، ص ٤٥.

(٣٢) المصدر نفسه.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٤٦.

(٣٤) الخميني، روح الله، كتاب البيع، ج ٢، ص ١٧.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٣٦) الحميني، الامام روح الله، الحكومة الاسلامية، ص ٤٩.

(٣٧) المصدر نفسه.

(٣٨) الانشقاق، الآية ٦.

(٣٩) الصدر، محمد باقر، مقدمات في التفسير الموضوعي للقران، ص ١٤٨.

(٤٠) ربما كان جديراً بالالتفات هنا أن صلاة المسلم ذاتها هي حقيقة ثورية وموقف ثوري، كذلك هي العبادات كافة في الاسلام.

(٤١) الخميني، الامام روح الله، مختارات، ج ٢، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٤٢) فاطر، الآية ١٠.

(٤٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان، مج ١٧، ص ٢٣.

(٤٤) الخميني، الامام روح الله، الجهاد الاكبر، الترجمة العربية، ص ٦٢.

(٤٥) المطهري، مرتضى، المفهوم التوحيدي للعالم، ص ٧٠.

انظر أيضاً:

ـ الخميني، الامام روح الله، الحكومة الاسلامية، ص ٦٨ـ٦٩.



الفصل الثالث

الامام والاستنهاض

الاستنهاض والدعوة
تثوير الجوّاني والمشروع الحضاري الاسلامي

لم يعرف التاريخ الاسلامي بعد الائمة، قائداً ومفجراً لثورة، تحققت أم لم تتحقق، برؤية ثاقبة مهدية وهادية بالمستوى الذي تجلت فيه رؤية الامام الخميني. وليس هذا الحكم اسقاطاً عاطفياً، ولا صادراً عن حالة ولاء شخصانية. ففكر الامام وسيرة جهاده الطويل، ومسيرته العلمية والسياسية والشخصية، هي بذاتها تحد كبير للباحثين الموضوعيين، فليسبروا أغوار هذا الرجل التاريخي، ولو كانوا في موقع الخصم الايديولوجي.

هو ذا المشروع الحضاري الاسلامي، وهو ذا الامام نصاً وفكراً وعملاً وروحاً، وهي ذي الامة التي وقفت خلفه حياً مستنفرة مستجيبة، وشيعته ولياً الى رضوان اللّه، وها هي اليوم شاكية السلاح لحراسة خطه ونهجه والاعتصام بمشروعه / مشروعها الذي أصبح أمانة في عهدة الامة كلها، وها هو الاسلام يمسك بزمام المبادرة من جديد، وقد أعاد نصب راياته حتى في قلب الغرب.

كان كل شيء واضحاً في عقل الامام وقلبه: الاهداف الجهادية وقضايا الاستنهاض.. المستنهضون ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.. جهوزية مشروع الاستنهاض والتنفيذ.. أدوات التنفيذ وقواعده بعديدها البشري وعناصرها المعنوية.. اقامة الحكومة وتنظيم الدولة...الخ. كل ذلك الى درجة يخيل فيها للباحث المتتبع لنصوص الامام، وكأنه يكاد يسمي الشخص المناسب لكل

مهمة مندوبة، والمسؤول عن كل شأن من شؤون تأسيس الحكم والادارة والوزارة والقضاء والسياسة... ومن يقرأ الباب الاخير من كتابه «الحكومة الاسلامية»[1] لا يعوزه مصداق لما نزعمه. فقد أجاد الامام تشخيص العلل بمقدار ما أجاد في معرفة الادواء، وأتقن معرفة ما حدث وما يحدث وما سيحدث في مسار الامة بقدر اتقان امتلاكه للخيارات الواقعية والصائبة في التصدي والمواجهة والحسم، وأدرك حركة القوانين والسنن الالهية في الناس، فما طاش عن هدف، وما فتت من مضاء عزيمته عقبة أو صعوبة، ولا أعوزته في القرارات الخطيرة والمواقف المعقدة شجاعة الحكيم العارف وجرأة المواجه الذي لا يهون ولا يلين.

استراتيجية متكاملة كاملة وضع، وقد أثبتت دقتها ومصداقيتها فيما بعد على الملأ، وأحياناً من خلال حركة التفاصيل.

وبقدر احاطة الامام بأهداف مشروعه الكبير، كانت معرفته بخطط التنفيذ ووسائله.

لقد أدرك رضوان اللّه عليه، واعياً كل الوعي لطبيعة التجربة التبليغية النبوية وظروفها البالغة التعقيد، واستناداً الى الوصايا والتعاليم القرآنية الشريفة، أن الدعوة الى سبيل اللّه تقوم بالحكمة والموعظة الحسنة.

فنحا نحو الرسول (ص) داعياً ومبشراً ومحرضاً ومربياً ونذيراً ومعلماً وقدوة.. كما الانبياء والصديقون؛ خدمة للمبدأ والعقيدة، لا يخشون في اللّه أحداً: **﴿الذين يبلغون رسالات اللّه ويخشونه ولا يخشون أحداً إلّا اللّه وكفى باللّه حسيباً﴾**[2].

ولم تكن المهمة سهلة ـ بالطبع ـ في مجتمع مقهور سكوني وحكومة طاغوتية وظروف بالغة الصعوبة. اذ كان على الامام أن يكون بمثابة العاصفة

التي تعيد تحريك مستنقع مسقوف، وتحوله الى طوفان طام من خـلال تـثوير جوانية الفرد والامة، وعن طريق اعادة ضخ الدم المعافى الى العروق المتصلبة والقلوب المجففة والافكار التائهة. وكان المطلوب من الامام ـ قدس سره ـ أن يعيد وصل ما انقطع بين الامة وعقيدتها وتاريخها وذاكرتها وذاتها، أي أن يعيد بناء ما تهدم بينها وبين معرفة دينها وأحكامه بما هي وثيقة الترابط بعضها ببعض، بحيث لو اخل بأمر واحد، فكأنما أخل بجميعها نظراً لكمال الترابط والتماسك فيما بينها، وذلك بالرغم من تمايزها في الدرجة داخل البنيان التوحيدي. كـما كان مطلوباً منه ـ استطراداً ـ أن يعيد هدايتها الى السبيل المـؤدية الى الحـق.. الى الصراط المستقيم بالمعنى الذي سبق ونوهنا به.

رسالة كاملة متكاملة، اضطلع بها الامام بدءاً من المعارف الاصلية والاصول الخلقية، وصولاً الى الاحكام الفرعية العامة لجميع حركات الانسان وسكاناته، مثوراً بها العقول والنفوس والافئدة المستغلقة المستكينة، فلم يترك عـبادة إلّا وأعاد توأمتها «بسياسات الاسلام وتدبيراته الاجتماعية»[٣]، وفاق ما أمر القرآن به، ولم يغفل حوافز أو دوافع باطنية إلّا أنضجها وحركها، ولم يدع بينه في العقائد الحقة والانظمة في طرق الجهاد والنضال وبرامج العمل والحركة إلّا أعاد بعثها وشظاها، ولم يهمل حجة الحق إلّا استلها وجادل فيها، ولم يعان تاريخ التوحيد من مأساة أو مصيبة أو عذابات إلّا توسلها بـهدف اسـتنهاض النـاس واعـادة تربيتهم ورصهم في صف الحقيقة تحقيقاً للاهداف الالهية وخدمة لقضايا الحرية و العدالة في العالم بأسره[٤].

انه التبليغ الشامل بالرسالة الشاملة القاضية بأسلمة كل شيء في الوجـود، وباستنهاض كل الفطرة الانسانية وقابلياتها الاصيلة الى الهدف الالهي الاوحد، بالمشروع الحضاري الانساني للاسلام.

لقد ثور الامام حقاً ثلاثين مليوناً على الاقل من شعب عدده خمسة وثلاثون مليوناً، كما يقول الشهيد مرتضى المطهري[٥]، لكنه في آن معاً كان يسعى الى تثوير مليار مسلم مشتتين في شتى أرجاء الارض جاهداً في لم شعثهم وتوحيدهم وتحريرهم أنفساً وأرضاً بالسعي الحثيث والجدي «لتشكيل الحكومة الاسلامية»[٦].وكان لابد من بداية ينتقل بها المشروع الحضاري الالهي من جديد الى التربة الصالحة التي يسترد فيها الرمق والانتعاش. إلّا أنها بداية عملية: «علينا.. أن نبدأ عملنا بالنشاط الدعائي ونتقدم فيه»، وفاق قول الامام الخميني[٧]، والبداية العملية تتجسد في نقل الافكار تنفيذاً، «والافكار تبدأ صغيرة، ثم تكبر، ثم يتجمع حوله الناس، ثم تكتسب القوة، ثم تأخذ بيدها زمام الامور»[٨]، لتقوم حكومة هذه الافكار[٩] وتتحقق نتائج قيامها المرجو.

أولاً: قضية الاستنهاض وأهدافه

ثمة مسلمة مرجعية لا تغيب قط عن فكر الامام ومنهجه، فهي محورهما وموئلهما، انها المشروع الحضاري للاسلام، المحتضن لرسالة التوحيد قضية، اما أهدافاً فانها تتلخص في هدف رئيس واحد هو: اقامة الحكومة الاسلامية.

لكن هذا الهدف ليس كياناً ذاتياً منفصلاً ومعزولاً عن مجموعة أهداف اخرى تكاملية وأساسية قوامها: اقامة العدل والقسط بين البشر، وتحقيق حريتهم واستقلالهم عن كل التبعيات الداخلية والخارجية. وبهذا المعنى، ليست اقامة الحكومة الاسلامية غاية بذاتها بالعنوان الذي عرفته الثورات التاريخية: «الاستيلاء على السلطة»، بل هي وسيلة يراد بها «تنفيذ امر اللّه واقرار النظام العادل»[١٠]، وفاق ما نصت عليه الشريعة الالهية، وكلف بتحقيقه الانبياء والرسل الذين ما اختارهم اللّه سبحانه إلّا لهدف حقيقي «هو اقامة العدل والقسط في

الناس، وتنظيم حياتهم بموجب الموازين الشرعية. ولا يتم ذلك إلّا بالحكومة التي تنفذ الاحكام. وهذه الحكومة كما أنها تتمثل في شخص النبي أو الرسول، فانها تتمثل كذلك في الائمة (ع) وفي الفقهاء العلماء المؤمنين العدول من بعدهم»، كما يقول الامام الخميني[١١].

للتوحيد تقوم ـ اذن ـ هذه الحكومة، وتنفيذاً لنظامه الاصلح، وامتثالاً لمنزِّل هذا النظام، واذعاناً لامره، وصوناً لشريعته من الابعاد والتحريف فالانحراف، واستنقاذاً لمشروعه وأهله من الاخطار المحدقة بهم[١٢]. وطالما كان الامام يردد الآية الكريمة: ﴿**قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا للّه**﴾[١٣،١٤]. والقيام للّه لا يكون إلّا بالالتحام في صراطه، والانضواء في عدل دولته، فهي الامينة القمينة بتحقيق سعادتهم وأمنهم ورفاهيتهم، وهي وحدها الدولة الشرعية[١٥]. وبذلك لا يتخذ السياسي شرعيته إلّا من الالهي، كما كل شيء في الوجود.

ولان الاسلام دين الفطرة الانسانية، فسياسته الهية، ودولته الهية عالمية، وشرائعه الاخلاقية الهية مقررة «لصنع الانسان»[١٦]، وثورته الهية؛ وهي، وان كانت من أجل العالم الاسلامي بالدرجة الاولى، فانها، بالدرجة الثانية، من أجل المحرومين والمستضعفين الذين يسعون من أجل التحرر، وبالتالي فهي من أجل الذين يريدون ادارة مجتمعهم بالاستناد الى القيم والضوابط الدينية الالهية[١٧]. انها ثورة الهية شاملة لحكومة شاملة هي «حكومة المستضعفين، والحكومة العالمية للامام المهدي صاحب الزمان»[١٨]، بما هي المرحلة الاخيرة في مآل الوعود التكوينية للرسالة.

تلك هي الابعاد البنيانية في المشروع الحضاري للاسلام التي تبدأ ببداية الكون على خط الرسالات السماوية، وتنتهي بدولة صاحب العصر والزمان (عج)، «تسير بالناس في النور، وتلوح بيدها الى القمة التي لا يوجد

مسلم لا يراها، أو يملك صورة محددة عنها. مما نجعل الفرد المسلم، في اطـار التعبئة الحضارية الاسلامية، مطمئناً الى طريقه، واثقاً بهدفه»[١٩] الكبير الذي هو هدف المسيرة «للجماعة البشرية الصالحة»[٢٠].

عقيدة واحدة من لدن أحدي واحد بمشروع انساني واحد ودينامي.

ان اقامة الدولة هـي صـلب مشـروع الاسـلام للـعالم بكـل خـصوصياته الحضارية بما هو آخر الاديان السماوية وأكملها، وحامل الاحكام الاكمل. وها هي حكومته الاسلامية؛ حكومة من نوع خاص ونظام خاص، لانموذج يشبهها في النماذج الحكومية وأصناف الدول التي عرفتها حضارة الطواغيت: «فـهي ليست حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة بـرأيـه، عـابثاً بأمـوال النـاس ورقابهم.. وانما هي حكومة دستورية، لا بالمعنى الدستوري المـتعارف الذي يتمثل بالنظام البرلماني أو المجالس الشعبية، وانما هـي دسـتورية بـمعنى أن القائمين بالامر فيها يتقيدون بمجموعة الشروط والقواعد المـبينة فـي القـرآن والسنة، والتي تتمثل في وجوب مراعـاة النـظام الاسـلامي وتـطبيق احكـام الاسلام وقوانينه. ومن هنا كانت الحكـومة الاسـلامية هـي حكـومة القـانون الالهي»[٢١]. واذا كانت الحكومات الدستورية ـ الملكية منها والجمهورية ـ تعتمد في تشريعها على ممثلي الشعب، أو ممثلي الملك، الذين يتولون وضع القوانين والشرائع، وفاق ما يسنه البشر للبشر، فان سلطة التشريع في حكومة الاسـلام «تنحصر باللّه عز وجل، وليس لاحد، أياً كان، أن يشرع، كـما ليس لاحـد أن يحكم بما لم ينزل اللّه به من سلطان»[٢٢] و«حكم اللّه نافذ في جميع الناس»[٢٣] **﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرض عـن ذكـري فـان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾**[٢٤].

ان الامام الخميني، وهو يؤكد هذه التميزات في الحكومة الاسلامية، باعتبار

ما يجب ان يكون، فانما يتمثل حقيقة النظام الاسلامي في الفهم القرآني، استناداً الى أن هذا النظام عبارة عن «مجموعة من القوانين والنظم التي تطابق نظام الخلقة والتكوين»[٢٥] بشموليته واحتوائه معيش الافراد والجماعات. أي أنها تحاكي الثوابت في البشر بعيداً عن أهوائهم ومصالحهم وغرائزهم وفردانيتهم أو ارادة أكثرهم، «بل انها تسلب حق التبديل والتغيير من أية سلطة، وتسلم مقاليد الامور الى النظام الكوني.. الى ارادة اللّه»[٢٦].

أما ما يتغير ويتبدل من مصالح الناس ـ تبعاً لتغير أحوالهم وظروفهم، واختلاف أمكنتهم وأزمنتهم ـ فان الحكومة الاسلامية تنيطه «برأي الحاكم الشرعي الذي يشخص الاحتياجات ضمن اطار المصلحة الزمنية وفي ضوء الاحكام الثابتة للشريعة. وليست هذه الاحكام المتغيرة من الدين والشريعة في شيء»[٢٧].

ان تحقق الهدف الرئيس المتمثل بنجاح الاستنهاض الاسلامي الشامل وقيام حكومة الاسلام بالثورة الاسلامية مؤد بالضرورة «الى توحيد الامة الاسلامية، وتحرير أراضيها من أيدي المستعمرين، واسقاط الحكومات العميلة لهم... ان تشكيل الحكومة ـ اذن ـ يرمي الى الاحتفاظ بوحدة المسلمين بعد تحقيقها»[٢٨]، فلا مناص ـ عند الامام ـ من قيام الدولة الاسلامية لتحقيق الوحدة الاسلامية والمحافظة عليها. ثم ان هذا التحقق يعني أيضاً انتصار منطق المظلومين على منطق الظالمين باسقاط الظلم أينما كان، والغاء لوازمه وآثاره، وتحقيق العدالة بمفهومها الالهي الشامل لشتى أبعادها السياسية والحقوقية والاجتماعية والانسانية. «فالامة الاسلامية تعتنق مبدأ يمكن تلخيصه في كلمتين: لا تظلمون (بفتح التاء) ولا تظلمون (بضم التاء)»، وفاق تعبير الامام الخميني[٢٩]. ولطالما ترددت أصداء هذا المبدأ في نصوصه ونداءاته: «يا

مسلمي العالم.. ويا مستظعفي الارض، هيا الى النظام الذي جاء من قبل اللّه تعالى لتقدمكم وتكاملكم، ولسعادتكم في الدنيا والآخرة، ولازالة الظلم، وحقن الدماء ونصرة المظلومين في العالم، ولاجل التربية والتعليم الانسانيين، ولاجل حرية واستقلال أقطاركم.. ذلك النظام الالهي المسمى بالنظام الاسلامي»[٣٠].

كما أن تحقق ذلك الهدف الرئيس مقتض ـ كذلك بالضرورة ـ تحققاً لهدف شامل آخر آيل الى الانعتاق من كل التبعيات النفسية والدنيوية والشخصية، والى انبعاث الحرية الاصيلة في الانسان بمفهومها الاسلامي لا بمفهوم الحضارة النفعية القائلة بـ «السعادة الدنيوية» كمثل أعلى . انها «الحرية الحقيقية» ـ بتعبير العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي[٣١]، لانها عتق من قيود العبودية لغير اللّه، وانتزاع لتسلط النزوع الحيواني والانصياع الغريزي، لترفع الانسان الى دور المتحكم في شهواته ونزعاته على مستوى «كتاب الفرد». أما على مستوى «كتاب العالم» فهي تحرر الشعوب من الاستعمار والاستعباد، والغاء للتحكم الطبقي وقطع سبل وأسباب الاستكبار والتسلط على الضعفاء، فلا افراط ولا تفريط[٣٢].

لكن قيام الحكومة والغاء الرق الثقافي والسياسي والاقتصادي ليسا نهاية المطاف في مسيرة المشروع الحضاري الاسلامي، بل هما دائرة ابتدائية من دوائر الكدح الى اللّه سبحانه، على طريق بناء الدولة الاسلامية العالمية وتحرير الدنيا بأسرها واقتلاع الظلم بكل أنواعه وتجلياته. فالمسيرة كؤود وطويلة لا ينقطع فيها الجهاد بركنيه. يقول الامام: «ما دام صوت لا اله إلاّ اللّه، محمد رسول اللّه لم يطبق العالم.. فالجهاد قائم»[٣٣]، وذلك حتى تحقيق السيادة الشاملة «للمبدأ». فاللّه هو الحاكم، وهو المشرع، وتتجلى حاكميته في شريعته وحاكمية من ينيبهم عن نفسه في الحاكمية[٣٤]: ﴿ان الحكم إلاّ للّه أمر الاّ تعبدوا إلاّ إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[٣٥]، وبهذا المعنى يمكن القول:

ان «الاسلام هو الحكومة بشؤونها، والاحكام هي قوانين الاسلام»[٣٦] باعتبارها أوامر اللّه ونواهيه، ومتكفلة بحفظ سيادة القانون الالهي، وبسط العدالة الالهية بين الناس، وتحريرهم من ذل التبعيات إلّا للّـه لا شـريك له، فـروح التـعاليم الاسلامية هي التحرر والحرية[٣٧]، وها هو التاريخ الاسلامي حافل بـالاحداث والمظاهر المـختزنة لهـذه الروح بأعـظم تـجلياتها، وقـبل الثـورة الفـرنسية وتنويعات المبادئ التحررية المعاصرة والحديثة[٣٨].

انها التعبئة الشاملة حول مشروع الاستنهاض الجهادي المتمثل في الاسلام وقيام حكومته الشرعية. فالجهاد عصب الحركة الارتقائية اللولبية تكاملاً مـع مبدأ الوجود، وهو دعامتها وأكثر ما يمثل وحدتها.

ثانياً: ايمان الامام بقضية الاستنهاض وأهدافها ويقينه بانتصارها

قبل أن يعزم الامام كانت تربية الاستسلام حوله طـاغية الى درجـة بـاتت حركة الانتفاض معها جنوناً ولا جدوى منها. اليأس والسواد يريان فـوق كـل شيء، ولغة المستحيل هي خطاب الامة الهـامس والجـاهر، وسـياط العسـف والقمع والتنكيل كانت قد نتفت نياط القلوب وأكلت لحم الاجساد التي تجرأت على اختراق الصمت المرين، أو احتجت عليه، أو تمردت... والعيون الكسـيرة كانت تفلي العتمة بحثاً عن قبس ضياء فلا تجد.

من هذا المستحيل المتأصل الذي عرفه الامام عن كـثب، كـانت صـرخـة الخلاص الكبير والتحدي الذي لا رجعة فيه: «يجب أن نخرج من عقول الشعب كلمة (اللاممكن) ونحل معها كلمة (الممكن)»[٣٩].

قالها الامام دفعة واحدة مختصراً المشروع الاستنهاضي كله، وفاتحاً ثـغرة في جدار الركون والهزيمة الداخلية.

من الاصعب بدأ الامام لا من الاسهل، ومرة واحدة شهر سيفه ولم يغمده حتى أسلم الروح.

ولم يكن متوقعاً أن يهزم فراعنة هذا الزمان بسرعة، وأن يرسي دعائم الحرية والحكومة الاسلامية بين ليلة وضحاها. كان يعرف أن اعلان الهجرة الى اللّه وبدء المسيرة الجهادية لا تدخل فيهما حسابات الزمان والمكان، خاصة وأن المشروع الذي يشهره هو فوق مقتضيات الزمان والمكان، وتقديرات التكتيك السياسي، يتطلب جهوداً مستمرة وجليلة قد لا تؤتي اكلها بعد فترة قصيرة، فلا يطمعن أحد بالقطاف السريع والوصول الى الهدف البعيد بالجهد السهل والتضحية الانية، لكن الامام كان مؤمناً بأن بعد المسافة عن الهدف ينبغي أن يكون حافزاً جديداً للامة لتستحث الخطى وتسرعها مهما غلا الثمن وعظمت التضحيات، يقول رضوان اللّه تعالى عليه: «نحن لا نتوقع أن تؤتي تعليماتنا وجهودنا اكلها في زمن قصير، لان ترسيخ دعائم الحكومة الاسلامية يحتاج الىوقت طويل وجهود مضنية... واذا كان نشاطنا لن يؤتي ثماره إلّا في جيل غير جيلنا، فذلك لا ينبغي أن يثبط عزائمنا»[٤٠].

الى خط الانبياء والقادة التاريخيين كان يشد الامام ركب الامة، مستنفراً فيها عبرة سنن التاريخ التى لا تقفز فيها الامم الى التغيير الثوري قفزاً آلياً، بل تواكب حركة موج جماهيرها الوئيدة التي تكتسح في طريقها العثرات والاعداء، لكنها تصل في النهاية الى أهدافها وصولاً واثقاً ونهائياً. فحركة الامة ظل من ظلال العقيدة التي تعتنقها. والعقيدة لا تتقدم إلّا بخطى الواثق الثابت، والعازم الحازم، تماماً كما سيرة الانبياء والرسل: «بسبب ما اتسم به الانبياء والقادة من عزم وثبات وحزم، كانت العقيدة تتقدم بخطى ثابتة»[٤١]. هكذا قال الامام، لانه كان على يقين بأن الامة التي تريد فتعزم، قادرة على تحقيق ارادتها. من هنا كان قوله أيضاً: «كل ما ينقصنا هو (عصا موسى) وسيف علي بن أبي

طالب وعزيمتهما الجبارة، واذا عزمنا على اقامة حكم اسلامي، فسنحصل على عصا موسى وسيف علي بن أبي طالب أيضاً»[٤٢].

ان شرط التحقق هو الارادة والعزم، والتبليغ بهما، والدعوة اليهما. وما دام الهدف الهياً فسنة التاريخ كفيلة بتثبيت قانون النصر المحتم. يقول الامام: «اذا كان القيام الهياً، وكانت النهضة للّه، فانها منتصرة»[٤٣]. وكيف لهذه العقيدة أن لا تنتصر، وفي قلوب وعقول ونفوس حامليها سلاح الايمان الذي لا يضاهيه سلاح: «ان هذه العقيدة الايمانية هي المنتصرة.. فلا سلاح في العالم يقابل سلاح: (اللّه اكبر)»[٤٤]. وها هو الامام لا ينفك عن استنفار دعاته وطلبته وحضهم على تبليغ الاسلام للجميع «فهو للجميع، وسترون أنه سيقودهم الى الطريق السليم، وينير لهم السبيل»[٤٥] ـ يقول لهم ـ «وثقوا بأن وراء ذلك نتائج حسنة وترحيباً شديداً سيستقبل به الاسلام»[٤٦].

وهكذا نلاحظ أن ايمان الامام بأهداف نهضته، وثقته بتحقيقها وانتصارها كانا ايماناً يقينياً وثقة قاطعة. ولطالما ردد أمام الامة وأمام المبلغين وطلبة العلوم الدينية: «انكم ستصلون الى أهدافكم يقيناً»[٤٧]. «وأنا على يقين من أنكم قادرون على ادارة دفة الحكم عند تقويض اسس الظلم والجور والعدوان»[٤٨].

هذا الايمان المطلق بالقدرة على نيل الاهداف، بالجهاد والمجاهدة والعمل، لم يكتف به الامام لنفسه؛ يتحصن به ويتشرنق فيه ـ كما النخبويون الفرادنيون ـ بل أراد، وعمل بلا هوادة، أن يكون به قدوة ونموذجاً بحيث ينتقل به، في نفسه وجهاده وتعاليمه، الى نفوس طلابه ومريديه في الحوزات العلمية، وعبرهم، الى الامة كلها. فكان رائداً في فعل الايمان هذا، وكان النموذج الحضاري للمبلغ المسلم الامر بالمعروف والناهي عن المنكر، وفاق اقتضاء التكليف الشرعي للمسلم فرضاً عينياً ابتدائياً. يقول الامام علي بن أبي طالب (ع): «فبدأ اللـه

بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها اذا اديت واقـيمت، استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها، وذلك أن الامر بالمعروف والنـهي عـن المنكر دعاء الى الاسلام..»[٤٩]. ويعلق الامام الخميني على هذا الخطاب الامامي قائلاً: «ولهذه العظائم شرّع الاسلام وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا لصغار الامور فقط، مما نرى ونسمع يومياً، وان وجب انكارها والردع عنها»[٥٠].

ان ايماناً من هذا القبيل لا يكون إلّا فيضاً من الايمان المبدئي باللّه سبحانه، ومعرفة به، وتصديقاً، وتوحيداً، واخلاصاً له[٥١]. فمن اللّه يبدأ الامام، كما بـدأ الانبياء والائمة من قبل، واليه يصبو ويكدح، وله يكافح ويجاهد، ولشروعه في الارض يدعو وينهض، ومن فيضه ينهل ويبذل، وفي توفيقه ووعده لا يرقى اليه شك أو يحط من عزيمته وهن: «كونوا جنوداً للّه، ترفرف ألوية الاسلام في كل مكان على أيديكم»[٥٢].

وليس هذا الايمان باللّه منفصلاً البتة عن المشروع الالهي ذاته في الارض، لكنه القلب النابض به، يقيناً بصلاحه المطلق وخيره للبشر كافة، واقتناعاً بثباته ولا نهائيته بما هو مشروع هداية للحياة وما بعد الحياة، الى درجة أن الامام قد ذاب في المشروع الالهي وانصهر فيه وامتزج، حتى بات كل منهما مؤدياً للاخر، وناطقاً به، كأنهما من طبيعة واحدة، ويتحركان في حركة مـوحدة بـيد القـدرة الالهية وتقدير المشيئة الالهية، فهما يتكلمان لغـة واحـدة ويـعبران عـن ذات الحقائق الى مستوى التوحد فيها. ان انثيال الامام في اللّه الى هذا الحد، والوفاء له، والانعتاق اليه سبحانه، تشكل حقيقة الاخلاص لربوبيته وتوحيده، متوجها بكلية ذاته وأفعاله للّه وحده على أساس من الولاء الكلي الالهي[٥٣] ولتجليات آياته، ومنها دليل هدايـته للـناس فـي الدنـيا والآخـرة وتـعاليمه وقـوانـينه، والمسؤوليات التي أناطها بمخلوقيه، حتى اذا وصلوا الى هذا المستوى السامي

من الاذعان له والالتزام به لم يكن لهم إلّا ناصراً ومسدداً ومعيناً وهادياً. وها هو الامام الخميني يقول للشهيد مرتصى المطهري في باريس، قبيل انتصار الثورة: «لا تتصور أننا نحن الذين نعمل هذا ـ ونقوم بالثورة ـ انني أرى وألمس يد اللّه بوضوح، ان الذي يشعر بقوة اللّه وعنايته، ويسير في سبيل اللّه، فان اللّه يضيف الى قوته النصر تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ان تنصروا اللّه ينصركم ويثبت اقدامكم﴾[٥٤]. وتصديقاً لما يتحدث به القرآن عن أصحاب الكهف، اذ يقول تعالى: ﴿انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾[٥٥]، انهم قاموا للّه، واللّه يربط علىقلوبهم: ﴿وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والارض..﴾[٥٦]»[٥٧]. ثم يعلق المطهري على كلام الامام قائلاً: «انني أرى هذه الهداية والتأييد الالهي بوضوح في هذا الرجل.. انه قام للّه، فمنحه اللّه تعالىقلباً قوياًلا يأتيه الخوف ولا يتزعزع أبداً.. هذا الرجل العظيم الذي ينشر في النهار تلك البيانات الثائرة اللاهبة، هو الذي يناجي ربه في الاسحار ساعة واحدة على الاقل، وتسكب دموعه بطريقة يصعب تصديقها.. ان هذا الرجل نموذج حقيقي ممن سار على خطى علي عليه السلام»[٥٨].

بهذه العبودية الثورية تتوحد يدا العبد والمعبود ويصبح العبد الهياً، والكلمة الهية، والفعل الهياً، والامة الهية، فينتسخ الضعف الى قدرة، والظلم الى شجاعة، والنخوة الى حركة، والدم الى عبادة. يقول الامام في هذا السياق: «في هذا الوقت خرجت يد القدرة الالهية من كُمِّ العدالة، وتبلورت في شعار «اللّه أكبر» وتحول شعب ايران من الضعف الى القدرة.. وموجة الجماهير الثائرة من الناس الالهيين الذين اعتبروا السعادة في الشهادة، وتضحية الدماء أكبر عبادة.. دكوا جدار الشياطين وعرش وتاج ٢٥٠٠ عام من الظلم والافتراس»[٥٩].. «ان الذي أعطانا القدرة وأعطانا كل شيء، وأسقط جميع القوى..هو اللّه.. اللّه مبدأ

الموضوع»[٦٠]، تتدخل قوته ـ تبارك وتعالى ـ لتنصر عباده الالهيين وتظهرهم على أعدائهم خارج مجرى العادة والمألوف من نواميس الطبيعة وتوازنات قوى البشر «فبالحري أن ينسب ما وقع.. بأيدي المؤمنين.. اليه سبحانه دون المؤمنين»[٦١]، وذلك تصديقاً لقوله تعالى: ﴿**فلم تقتلوهم ولكن اللّه قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن اللّه رمى**﴾[٦٢].

لقد حمل الامام الخميني قضايا المشروع الحضاري للاسلام وأهدافه، الىهذا المستوى من القول واليقين والايمان والفعل والثقة المؤكدة بالانتصار مهما طال الزمان، فكان نموذج الدعوة والداعية، والبلاغ والمبلغ المبينين، والنموذج القدوة لاولئك العلماء الربانيين الذين أشار اليهم الامام علي بن أبي طالب (ع) بقوله: «اولئك ـ واللّه ـ الاقلون عدداً، والاعظمون عند اللّه قدراً، يحفظ اللّه بهم حججه وبيّناته، حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم. حجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استعوره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى، اولئك خلفاء اللّه في أرضه، والدعاة الى دينه، آه.. آه شوقاً الى رؤيتهم..»[٦٣].

ثالثاً: المستنهَضون .. المشروع الاسلامي وملامح الهجر والجهل

اذا كان ايمان الامام بمصداقية وعقيدة المشروع الذي استنقذه، وبحتمية تحقيق أهدافه، وصوابية الدعوة اليه، جزءاً لا يتجزأ من ايمانه المطلق بمصدر المشروع ومبدئه وأصله، ويقينه بخيريته المطلقة، فان ذلك الايمان صادر ـ أيضاً ـ عن ايمان بأهل هذا المشروع وعشيرته وقابليات الامة التي تحتضنه، بما هي مجتمع انساني متحرك متحد فكراً وعقيدة ومذهباً وطريقاً، لا على مستوىالفكر فحسب، بل على المستوى العملي أيضاً. فأفراد الامة الواحدة ـ

من أي لون أو دم أو أرض أو عرق كانوا ـ يفكرون بطريقة واحدة، ولهم ايمان مشترك واحد، ويتحركون باتجاه مثل أعلى واحد يكملون فيه ويتكاملون، ويخضعون لقيادة سياسية واجتماعية واحدة»[٦٤،٦٥]. والامة بهذا المعنى هي الامة الاسلامية. والملفت أن الامام قلما استخدم هذا المصطلح في كتاباته وخطبه ومحاضراته، غير أنه استخدم ـ بكثافة ملحوظة ـ مصطلحات متعددة مثل: الناس، المسلمون، المستضعفون، المظلومون، المحرومون، الجماهير، أهل السوق والشارع والعامل والفلاح والطالب والجميع..الخ، وذلك بذات دلالات مصطلح «الامة» الذي اعتبره السيد محمد باقر الصدر مرادفاً لمصطلح «المجتمع»[٦٦]، إلّا أن الامام في استخدامه بعض هذه المصطلحات كان يتجاوز ـ غالباً ـ الدلالات التي يحتملها مصطلح الامة الاسلامية / المجتمع الاسلامي بما هو مصطلح مخصوص بالمسلمين، ليضيف اليها بعداً أشمل ودلالة أعم لتضم الانسانية بأجمعها وخاصة في مصطلحات مثل: «المستضعفون»، «المظلومون»، «المحرومون»، «الناس»، وذلك وفاق ما يقتضيه الموضوع ومقدماته في الشأن الذي يخوض فيه.

حيال هذا التعدد المصطلحي في نصوص الامام لا يلمس الباحث أي تعثر أو تداخل أو غموض في المفاهيم يمكن للتعدد أن يقود اليها، كما هي الحال عند كثير من المفكرين المرموقين. فحركة فكر الامام تبقى على الدوام منضبطة في سياق ثوابت المشروع الاسلامي الذي يضطلع بحمله، ومنبثقة من نظرته الكونية التوحيدية، بما هو هاد الى أهداف دينامية متعددة تلتقي في هدف واحد كلي، وبما هو محدد لمنهج تحقيقها[٦٧]. فالهدف الكلي هو اقامة حكم اللّه في الارض بنموذجه الحضاري الالهي ولوازمه وأحكامه العادلة[٦٨] باعتبارها بسطاً للعدالة الالهية بين الناس[٦٩] واجلالاً للنظام الالهي في العالم[٧٠] «فقد جاء الاسلام ليوحد شعوب العالم تحت اسم الامة الاسلامية»[٧١] بتعبير الامام.

بهذا الهدف الشمولي الانساني أعاد الامام بعث المشروع الحضاري الاسلامي، فمن لوازم عقيدة التوحيد ايمان كل مسلم «بأن الدين الاسلامي سيسود العالم.. وسيمحو آثار الكفر والاستكبار على وجه الارض»[٧٢]. إلّا أن هذا الهدف الاستراتيجي غير متحقق إلّا انطلاقاً من تحقيق هدف مركزي دينامي يتمثل في قيام حكومة اسلامية تمهيدية حيث يمكن للمسلمين أن يقيموها، وحيث تتوفر المناخات والظروف الآيلة اليها. فكان أول العقد في ايران، اذ اندلعت الثورة الاسلامية فيها على يدي الامام الخميني نفسه بعد نضوج مقدماتها التكاملية وجهاد استمر متواصلاً جاداً على مدى ما يناهز الربع قرن من الزمن. لكن هذه الثورة لم تكن إلّا الخطوة الاولى في المشروع الكبير بما هي ثورة من أجل العالم الاسلامي ومن أجل المستضعفين في العالم في الوقت نفسه.

يقول الامام: «ان هذه الثورة قد قامت بالدرجة الاولى من أجل العالم الاسلامي، وبالدرجة الثانية من أجل المحرومين والمستضعفين الذين يسعون من أجل تحريرهم.. وبهذا المعنى فان الثورة الاسلامية الايرانية ليست فريدة ومقتصرة على نفسها، بل هي بداية ثورات تماثلها في الهوية والميزات»[٧٣].

كان لابد للثورة / النموذج من أن تنبعث من مكان جغرافي، شاء اللّه أن يكون ايران (بعدما نضجت فيها مقومات الانتفاض وأسبابه)، لكنها انطلاقة الى كل الامكنة والى كل الشعوب بهدف وحدوي توحيدي هو «تثبيت واستقرار القيم الاسلامية وحدها»[٧٤]. ولم يفارق خطاب الامام التبليغي هذه المعادلة قط. فلحظ وحدة المشروع مرتبط عنده دائماً بلحظ وحدة العالم والانسان، والمسلمون والمستضعفون في الارض هم المكلفون، وهم المعنيون بالتحرك والسعي لانفاذ حكم اللّه ونظامه، وما المشروع الالهي إلّا لاستنهاضهم

وتحريرهم من كل العبوديات، فهو الهادي المؤدي الى الحق والعدالة والقسط وخير الانسانية وهم المهتدون، ودور المبلغين والقادة هو انجاز الارتباط المعرفي بين مشروع الهداية والمهتدين العتيدين.

وليس المقصود هنا بأن مشكلة المسلمين والمستضعفين هي مشكلة معرفية مجردة، ومحكومة بمتصورات الذهن والثقافة النظرية البحتة، وهي قضية بالغة الاهمية من غير شك، بل هي معرفية بما يعنيه الاسلام بالمعرفة غير المنفصلة فيه أبداً عن الفعل والتحقق العملي كما سبق ونوهنا به تكراراً.

المعرفة الراشدة هي المقصودة، وبالمعنى الذي طالما أشار اليه الشهيد المطهري، فالعلم والمعرفة شرط أول لتوفير الرشد بما هو شأن مكتسب[٧٥] تتحول فيه المعرفة الى قدرة وكفاية وممارسة سلوكية ومسؤوليات مركبة[٧٦] مرتبطة بذات الهدف اللامتناهي[٧٧]، ومنه تستمد وجودها ومثلها وأهدافها[٧٨]. وما يعاني منه المسلمون في كل مكان، من جهلهم بدينهم / مشروعهم، ومن هجرهم لتعاليمه وانحرافهم عن منهجه وأهدافه هو الاصل فيما يشكون منه، استتباعاً وقهراً، وتجزئة لارضهم، وانتهاكاً لحرياتهم، وتشوهاً في ثقافتهم، وفقداناً لذاكرتهم، والغاء أو افساداً لقيمهم. لقد شبه الامام الخميني (رض) عصر ما قبل النهضة الاسلامية بـ «العصر الجاهلي»[٧٩] لما كان يسوده من ظلم واضطهاد وانحطاط، مما أورث الثورة الاسلامية «بلداً غارقاً في التبعية، خرباً ومتخلفاً في جميع المجالات، والنظام البهلوي العميل كان قد جر هذا البلد الى السقوط مدة خمسين عاماً وألقى خيراته في جيوب الاجانب، وخصص الباقي لنفسه وأتباعه وأجرائه»[٨٠]. ولم تكن مجتمعات الامة الاسلامية الاخرى أحسن حالاً من المجتمع الايراني، اذ كان يجمع بينها شبه تطابق في العذابات والمشاكل والتخلف وضياع الانتماء والهوية، فتوحدت الآلام وخيبات اليأس.

من هنا، كان يقين الامام في أن التجربة الثورية لايران نموذج للعبرة والاعتبار لدى سائر المسلمين «لان اشتراك المجتمع الايراني مع سائر المجتمعات الاسلامية لم يكن في التاريخ والثقافة، أو المشاكل الناتجة عن الاستعمار وأمثاله فحسب، بل هو ناتج كذلك عن التشابه في الواقعيات الاجتماعية الحية، والقوى الموجودة بالقوة والفعل»[٨١].

وعندما تعاني تلك المجتمعات من ذات الداء، فلابد أن تكون المعالجة واحدة. ومن الطبيعي أن لا يجد الامام المسلم سبيلاً للخلاص إلّا بما صنع الخلاص بابتداء رسالات الرسل والانبياء المتنزلة من مبدأ الخلاص ذاته.

صحيح أن الاستعمار الغربي وفعل التجزئة ونتائجهما مسؤولة عن مصائب العالم الاسلامي، لكن تحميلهما ـ وحدهما ـ هذا العبء ينظر الى النتائج، ولا يحاكم الاسباب التي تتلخص كلها في تخلي المسلمين عن مشروعهم الحضاري العالمي المتجلي في الاسلام، وانحرافهم عن خط مساره الرباني، وحيادهم عن التمسك بمنهجه وتعاليمه وتشريعاته، فتاهوا عن أنفسهم وأضاعوها، حتى اذا قدم الاستعمار ألفاهم ينتظرونه على قارعة الطريق اكثرهم أسرى مستسلمون بعد أن تداعوا من الداخل. ولم تنجح في اعاقة هذه الكبوة التي طال بها الزمن، محاولات الكثير من الفقهاء والقادة والمصلحين المخلصين لاسباب مختلفة لا مجال للخوض فيها في هذا المقام.

أما الاسلام فكان قابعاً في الخزائن والمكتبات وقد جرى اقفاله عن معتنقيه حتى بات «كثيرون من الناس ينظرون الى الاسلام على أنه بضعة مسائل شرعية»[٨٢]، وارتجت أبواب المساجد على مناسبات قدسها العامة لاقتصار معرفتهم بها على «تسطيح» تاريخي أو مذهبي بحيث فقدت جوهرها وأصالتها وتحولت الى طقوس كهنوتية مصنمة تتغذى من نضوبها وجفافها الارواح التائهة

والنفوس اللائذة بالمستحيل: «واللّه يعلم أن محبي الاسلام كثير، ولكنهم لاكثر أحكامه جاهلون»[٨٣].

يقول الامام: لقد سجنت هذه المحبة، الصادقة بلا ريب، روح الاسلام في اسار التقليد والجاهلية حتى أضحى غريباً مجهولاً. يقول الامام في هذا السياق: «الاسلام اليوم غريب ليس هناك من يعرفه، فعليكم أن تقربوه للناس وتوضحوه لهم، حتى يفهم الناس الاسلام على وجهه الصحيح»[٨٤].

لقد خضع الناس ـ أو اخضعوا ـ لعمليات غسل ذاكرتهم، وتدجين أفكارهم،لتأتلف والقيم المستوردة البديلة، الهادفة الى «تحريف وتشويه الاسلام»[٨٥] حتى «انتهى الى هذه النهايةالمفجعة»[٨٦] بعد أن تم اقتلاعه من تربته، أو صد تربته عنه، بحيث غدا الناس ـ كما يقرر الامام ـ: «يجهلون الاسلام ولا يكادون يفقهون عنه شيئاً»[٨٧]، وصدقوا مقولة الفصل بين الدين والحياة، القاضية بابعاد رجال الدين عن السياسة والشؤون العامة. وبذلك نجحت «اعادة التثقيف المضادة» في اعادة تربية الناس تربية مزدوجة على مستويي القضية: المسلمين والعلماء / رجال الدين «بحيث اعتقد كثير من رجال الدين أنفسهم بأنه لا علاقة لهم بالسياسة.. واذا تدخل أحد العلماء في أمر يهم المجتمع ويتعلق بمشاكل الناس، أو أراد أن يقاوم حكومة فاسدة، كان سائر العلماء الذين اعتقدوا بفصل الدين عن السياسة يطردونه، ويعتبرونه عالماً سياسياً»[٨٨]. وبذلك تقزمت واجبات العالم الديني وانكمشت لتصبح مقتصرة على «الذهاب الى المسجد، واذا صعد المنبر في المسجد، فما عليه إلّا أن يتحدث في الامور الخلقية..»[٨٩].

أما على مستوى الناس، فقد جرى اخضاعهم لاعادة تربية مكملة لما اصيب به علماء الدين من اعاقة وشلل. وكان من نتائج ذلك « أن الناس كانوا يميلون الى مثل اولئك العلماء.. فالعالم الديني ـ من وجهة نظرهم ـ من لا يتدخل في

السياسة أبداً لانه لا يعرف هذه الامور، ويجب عليه أن لا يعرف..»[٩٠].

هذا الانحراف التربوي والثقافي كان شاملاً العالم الاسلامي كله، وتحول الاسلام الى «نصرانية» سياسية وأيديولوجية وتحول أكثر رجال الدين المسلمين الى كهنة يضعون العمائم السود والبيض. وقد أدرك الامام الخميني هذه الحقيقة المرة بوضوح شديد الى درجة جعلته يصنف اسقاطها في أوليات ما ينبغي اسقاطه بعد استلال المشروع الحضاري للاسلام من غمده، مما طبع المسيرة الخمينية بجهادين جوّانيين تغييريين:

جهاد على مستوى الناس المضللين الضالين، وجهاد مكمل على مستوى علماء الدين المقتلعين من جذورهم والمغتربين عن دورهم الحقيقي.

ولم يكن الامام مغالياً في وعيه لخطورة الظاهرة، وضرورة التصدي الفوري لها، لانها وحدها ـ بمضاعفاتها ومستتبعاتها ـ قمينة بنحر المشروع الاسلامي، واسقاطه في واحدة من مقومات بنيانه الاساسية. اذ عندما يكون الاسلام ديناً «عبادته سياسة، وسياسته عبادة»[٩١] ـ وفاق الحقيقة الاسلامية التي رفعها الامام «شعاراً» من شعاراته ـ بحيث تصبح فيه السياسة معادلة للعبادة، بل هي عبادة من عباداته، عندما يكون الاسلام كذلك، يمكن لنا أن ندرك حجم الآفة التي جرى ترسيخها في ذاكرة الامة بفصل الدين عن السياسة، وبالتالي باستبعاد علماء الدين عن السياسة طائعين أو مختارين، أو تحييدهم عنها في أبسط الاحوال.

كان على الامام ـ اذن ـ أن يمارس فعل الاستنهاض على جبهات ثلاث: جبهة المسلمين في داخل ايران وخارجها، وجبهة علماء الدين، وجبهة المستضعفين في الارض.. هذه الجبهات الثلاث هي ـ في واقع الامر ـ جبهة كبرى متكاملة تتوحد فيها عوامل التخلف والتبعية والانهيار الحضاري والتهافت القيمي التي تمعن بواسطتها حضارة الكفر والطاغوت تخريباً في روح

الامة الاسلامية ورسالتها وحضارتها، وتصادر كنوز الارض وجهود الشعوب، وتسترق ارادتها والنفوس، وتشعل الدنيا حروباً واضطراباً.

أـ جبهة الاستنهاض الاولى:

صناعة الانسان المسلم وانتظام الامة في مشروعها

على امتداد جبهة التفريط والجهل والتسلط والاستسلام المثلثة الرؤوس هذه، طرح الامام الخميني مشروع الخلاص والحرية بالاسلام، واقامة الحكومة الاسلامية في ايران معلناً استئناف المسيرة التي طال توقفها مفتتحاً باعادة تربية الامة وتعليمها ما جهلته عن ذاتها وتاريخها ونظام قيمها وحياتها الالهي، واصلاً ما انقطع من أواصر بفكرها وكيانها، مبلغاً ومعبئاً ومفكراً فقيهاً وقائداً ومربياً، وها هو يردد: «كان الاسلام مهجوراً في العصور التي تلت صدر الاسلام، وينبغي اليوم أن تتضافر جهود جميع المسلمين.. على طريق تعريف الاسلام، كي يسطع وجهه المشرق الوضاء كسطوع الشمس»[٩٢].

لكن اعادة تربية الامة تترافق ـ عنده ـ مع اعادة تربية الانسان فكراً وروحاً، مقدماً القرآن دليلاً: «القرآن كتاب تربية الانسان.. والاسلام يصنع الانسان، فانسان واحد يستطيع أن يربي أمة.. وفاسد واحد يستطيع أن يفسد أمة»[٩٣] ـ قال الامام ـ كذلك أيضاً كانت «جميع الكتب السماوية التي نزلت على الانبياء، من أجل ان يكون هذا الموجود أحسن الموجودات وأفضل الخلائق كلها باشراف من التربية والتعليم الالهيين. فهو لو ركب رأسه، أو تحرك خلافاً لمسيره الطبيعي، فسيجر العالم كله الى الفناء.. واذا أصبح هذا الموجود ذو الساقين موضع عناية وتربية، تحققت جميع حوائج البشر في الدنيا والآخرة.. من هنا فان جميع الامور في الاسلام هي مقدمة لصنع الانسان.. ولذا كان جميع الانبياء

معلمين، وجميع البشر طلبة ... فالعالم كلّه جامعة واحدة وجميع البشر طلبة »[٩٤].

في مدى هذا الاشراق الرسالي لا تكون تربية الانسان إلّا مقاربة لتعليمه الى درجة الالتصاق والترادف حتى «يكون التعليم مرادفاً للتربية»[٩٥]، فلا ينفك احدهما عن الآخر، ولا ينفك كلاهما عن هدفيهما العام وهو توحيد اللّه سبحانه وتعالى، وبذلك وصفهما الامام بـ «الالهيين» في الشاهد السابق، لان التبصر في غايتيهما هو المعيار للحكم لهما أو عليهما. واذا كان العلم معنياً بالفكر فان التربية ضابطة ومقومة له في المسار المطلوب حتى لا ينكسر تواصله بغايته الالهية، وحتى يغدو التأديب الالهي هيئة التوحيد في الفكر والفعل[٩٦]، وتتم عملية صناعةالانسان الالهي الذي جاهد له الامام بالاسلام: ﴿فبشر عباد * **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم اللّه واولئك هم اولوا الالباب**﴾[٩٧].

عبر صناعة الانسان، وفي موازاتها، يتوجه الامام الى اعادة تربية وتعليم الامة وتوعيتها، فيقول: «علينا.. أن نسعى لوضع حجر الاساس للدولة الاسلامية الشرعية، فندعو ونبث الافكار، ونصدر تعليماتنا، ونكسب المساندين والمؤيدين لنا، ونوجد أمواجاً من التوجيه الواعي والارشاد المنسق للجماهير ليحصل رد فعل جماعي تكون على اثره جموع المسلمين الواعية المتمسكة بدينها على أتم الاستعداد للنهوض بأعباء تشكيل الحكومة الاسلامية»[٩٨].

في نطاق خطة العمل المحكمة هذه، أهدافاً ووسائل، أكد الامام أن القوة «لم تكن.. حليفة الافكار من أول يوم. وفي هذاكله ينبغي أن نتخذ من الشعب ـ بكل قواعده ـ قاعدة رصينة نرتكز عليها ونركن اليها، مع العمل الدائب على التوعية الجماهيرية من أجل فضح خطط الاجرام وكشف الانحراف..ويتم تدريجياً استقطاب الجماهير، كل الجماهير، ويتم الوصول بعدها الى الهدف»[٩٩]. وتتحرر

الافكار والقلوب من كل التبعيات[100].

والجدير بالالفات في هذا المجال، أن المتتبع لخطاب الامام التبليغي العائد الى مرحلة ما قبل الثورة الاسلامية في ايران، يتبين أن الامام، وهو يتوجه بكلية حركته وفكره وجهاده الى الهدف المركزي المتجسد في اقامة الحكومة الاسلامية في ايران، فان هاجسه ظل منصرفاً أيضاً الى التبليغ بالمشروع الاسلامي الى المسلمين قاطبة. فكان هذا الهاجس ـ دائماً ـ أصل بياناته وخطبه، بحيث لا يخلو بيان من بياناته، أو درس من دروسه، أو خطاب من خطبه منه: «قوموا واحملوا القرآن.. واخضعوا لامر اللّه لتعيدوا مجد الاسلام العزيز وعظمته .. قوموا للّه قياماً فردياً لمواجهة جنود الشيطان في باطنكم، وقياماً جماعياً أمام القوى الشيطانية»[101]. ويقول في محاضرة من محاضراته أمام طلبة العلوم الدينية في النجف الاشرف: «عليكم أن تبذلوا قصارى جهودكم في ايصال مفاهيم الاسلام وأنظمته الى الناس عامة»[102]... «اجعلوا تعاليم الدين الاسلامي في متناول الجميع فهو للجميع»[103]، و«عليكم أن تعرفوا العالم كله بذلك»[104]، «خططوا للحكومة الاسلامية وتقدموا في خططكم»[105].

هذا الانضواء الكفاحي، على صعيد حركة التبليغ والدعوة، كما نلاحظ، يصل عند الامام الى مستوى الذوبان في المشروع الاسلامي، فلا يتنفس إلّا من خلاله، منفتحاً به على أصحاب الحق، يلاحقهم الى أقصى مكان في الارض مرشداً وشاهداً غير مضطرب ولا متعثر. فايمانه بهم يعدل ايمانه بشرعية مشروعهم الذي هو مشروعه في كل حال. ولا يستثني في دعوته الى الاسلام أحداً من الامة. وهو، وان خاطبها بكليتها أفقياً، فلم يفته التوجه أيضاً الى شتى شرائحها العمودية من أهل الشارع الى الحكام. فلا أحد في الامة محسوب خارج نطاق الرسالة: «انفخوا في أهل السوق والشارع، وفي العامل والفلاح

والجامعي، روح الجهاد، فيهب الجميع الى الجهاد.. الكل يطلب الحرية والاستقلال والسعادة والكرامة»[١٠٦]. بذلك يوصي الامام المبلغين ليوصي المبلغون غيرهم، فتنتقل الحركة بالرسالة من حلقة الى حلقة، ومن يد الى يد لتبلغ الهدف النهائي: «علينا أن نتواصى فيما بيننا، ونوصي الآخرين بازالة هذا الغموض المفتعل (عن الاسلام) وهذه الريب التي بثها الاعداء خلال قرون سحيقة في الناس جميعاً، وحتى المثقفين منهم»[١٠٧].

من خلال هذا الفعل التثويري الدينامي يقرر الامام الخميني حقيقة مرة من الحقائق التي أماطت الثورة الاسلامية اللثام عنها، عندما يعتبر المثقفين المسلمين بين ضحايا الضلال والتضليل في موقفهم السلبي من الاسلام، إلّا القلة بينهم. وبذلك يتساوون بما أصاب العامة على مستوى النتائج، عندما تعبدوا للنموذج الثقافي والحضاري الغربي فهجروا نموذجهم الذي جهلوه، وقرآنهم الذي لم يقرأوه، ووقفوا على الضفة الاخرى التي لم تعترف بهم، فخسروا أنفسهم، وضيعوا على أمتهم حقوقها في الافادة من قدراتهم وعلمهم[١٠٨].

في مجال هذا التوزيع التبليغي الشامل لفئات الامة، يرصد الامام أهمية دور الجامعيين باعتبارهم «أكثر تفتحاً من غيرهم»[١٠٩]، فيطلب من المبلغين أن يبثوا العقيدة الاسلامية ومشروع الحكومة الالهية بين ظهرانيهم «بصورة خاصة»[١١٠] فيقول: «.. وثقوا بأن وراء ذلك نتائج حسنة وترحيباً شديداً سيستقبل به الاسلام في رحاب الجامعيين. فالجامعيون أشد الناس عداوة للتسلط والعمالة والخيانة وعمليات نهب الخيرات والثروات وأكل السحت، وسيجدون في الاسلام ـ الذي تبلغونه اليهم، وفي تعاليمه في مجال الحكم والقضاء والاقتصاد والاجتماع ـ ما يستميلهم اليه»[١١١].

وكما للجامعيين موقعهم الخاص في الدعوة، كذلك جيل الشباب عموماً،

فالمشروع الاسلامي الحضاري اذا كتب له النصر، فسترتد عواقبه الايجابية عليهم بتحقق «المصلحة العامة للمسلمين»[112]، كما على غيرهم من الاجيال القادمة.

لقد حمل الامام هذا الهم الحضاري المستقبلي بين جناحيه متمثلاً نهج الامام الحسين (ع) في جهاده من أجل الاسلام والمسلمين، ومن أجل أجيالهم القادمة على المدى الطويل، وكان نهوضه وتضحيته من أجل نشر الاسلام، وظهور أحكامه السياسية وتطبيق نظمه الاجتماعية على الناس جميعاً حاضراً ومستقبلاً[113]. كذلك أيضاً كان «عظماء الرجال يخططون للاجيال القادمة، لا يحزنهم أن يلمسوا آثار خططهم (مباشرة)، مادام المستقبل كفيلاً باعطاء النتائج والثمرات»[114]. وسواء عند الامام، أتحقق المشروع الاسلامي الآن، أم لم يتحقق، فان الدعوة اليه في أوساط الشباب واجبة في كل حال، فيوصي المبلغين الشباب «بأن يبينوا للاجيال عالمية الاسلام وتشريعاته الاجتماعية وكل ما يحتويه من أنظمة، وأن يتحدثوا اليهم عما شرعه في موضوع الحكومة، كي يعلم الناس ماهو الاسلام، وأية قوانين جاء بها»[115]، «كي لا يظن جيل الشباب أن أهل العلم في زوايا النجف وقم يرون فصل الدين عن السياسة»[116].

ان مشروعاً حضارياً بحجم الاسلام وتميزاته ومثله وأهدافه التي ترافق مسيرة الانسان حتى نهاية الكون، يتطلب «وقتاً طويلاً وجهوداً مضنية»[117] بحيث تبني فيه الاجيال حجراً فوق حجر ولو استغرق الامر زماناً، بل أزمنة طويلة على قاعدة «غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلون»[118]، والى أن يحقق اللّه أمراً كان مفعولاً.

وفي جانب آخر من جوانب شبكة الدعوة والتبليغ في جوانية الامة، فان الامام الخميني لم يهمل في حملة استنهاضه الشامل حتى حكام المسلمين الذين لم يكن ليعول كثيراً على استجابتهم لنداءاته وصرخات تحذيره لهم[119]. لانه اراد ان يضع الحجة عليهم، أمتثالا لتعاليم الاسلام، فلعله يلقى من بعضهم

اذناً صاغية أو رفد اهتداء واستفاقة قبل فوات الاوان: «بيّنوا للناس برامج الاسلام وحكومته... فلعل حكام ورؤساء المسلمين يقتنعون بصحة هذا ويتبعونه. فنحن لا ننافسهم على الكراسي، بل نترك من كان منهم تابعاً أو أميناً على التنفيذ في مكانه»[١٢٠].

وحتى تكتمل حلقات الاستنهاض الشامل في داخل ايران، أولى الامام جيش الشاه ـ قبل الانتصار الكبير ـ اهتماماً خاصاً، وخصوصاً في المراحل التي تتابعت فيها انتفاضات المسلمين الايرانيين بقيادة علماء الدين، وتحولت الى انتفاضات دامية، وابان اسناد مهمة قمعها بالقوة الى الجيش البهلوي الذي امر باستعمال كل وسائل الفتك والارهاب، لخنق الثورة العتيدة في مهدها واخماد اجيجها الغاضب بقوة السلاح.

ولم يترك الامام مناسبة للجيش الايراني فيها شأن، دون أن يوجه اليه نداءاته التي سعى فيها الى اظهار حرصه على هذا الجيش من أن يرتهن لارادة الاجنبي أو أن يكون وسيلة لقتل المظلومين والابرياء من أبناء الشعب. وبالرغم من المجازر الوحشية التي ارتكبها هذا الجيش فقد ظل الامام حريصاً على دعوته الى عدم الولوغ في الدماء والى المبادرة الى استنقاذ ايران من جور الدكتاتورية وتخليص الاسلام من جلاديه. يقول الامام في هذا المجال: «نحن نعلم بأن البعض من قادة الجيش وضباطه وجنوده الشرفاء يشاركوننا مشاعرنا.. (بمناسبة ارتكاب الجيش وجلاوزة الشاه مجزرة المدرسة الفيضية بقم)[١٢١]، ويستنكرون هذه الجرائم والاعمال الهمجية. كما واني على علم بأساليب الضغط التي تمارس ضدهم.. واني أمد يد الاخاء اليهم، وأدعوهم الى الاقدام والمبادرة لانقاذ ايران والاسلام»[١٢٢]. ولم تكن المبادرة للانقاذ المقصودة، إلّا دوراً أساسياً في الانتفاض على سلطة الطاغوت: «يا جنود

الاسلام الغيارى الذين اخرجتم من معاهدكم الى معسكرات التجنيد الاجباري، أكملوا تدريباتكم العسكرية بكل شجاعة واقدام لعلكم تقومون بنفس الدور الذي قام به موسى (ع) الذي ما ان ترعرع في بلاط فرعون، حتى قام بتوجيه ضربته الى حكمه الجائر، وعسى أن تأتيكم الظروف الملائمة للقيام بالثورة على هذه السلطة الجائرة»[١٢٣].

وعندما جرى التصديق على «قانون الحصانة القضائية للرعايا الاميركيين في ايران»[١٢٤] سنة ١٩٦٤م، من قبل مجلس نواب الشاه شن الامام حملة شعواء ضد هذا القانون، وقد رأى فيه «بيعاً لكرامة الشعب في سوق النخاسة الاميركي»[١٢٥]، وخزياً للجيش وامتهاناً لكرامته ودوره المفترض في الدفاع عن شرف الوطن والشعب، فراح يحض الجيش على اتخاذ موقف قاطع مما لحق به من اهانة، مطالباً اياه بالعمل على تحرير البلاد من الاستعمار الاجنبي: «على جيش ايران أن لا يسمح بوقوع هذه الاهانات والمخازي على أرض بلاده، وعلى قائد الجيش أن يطالب بتمزيق هذه الوثيقة الاستعمارية، حتى لو اقتضى الامر اسقاط الحكومة وطرد النواب الذين صوتوا بالموافقة على هذا المرسوم المهين»[١٢٦].

كذلك فعل الامام بعدما تم اغتيال نجله الشهيد مصطفى داعياً الجيش الىالتحرك للتحرر ولتحرير البلاد والعباد، مستنهضاً اياه للانخراط في جبهة جهاد الامة في سبيل الحرية: «على الجيش وقادته أن يخلصوا أنفسهم من عار الارتهان للاجنبي، وأن يحرروا بلادهم من الهلكة والانحدار»[١٢٧].

في حدود هذا الحيز الدعوي يستكمل الامام الخميني (رض) استنهاضه وتثويره الجواني لخطوط جبهة المسلمين في داخل ايران وخارجها، بدءاً من اعادة تربية وتوعية وصناعة الانسان المسلم، وصولاً الى الامساك التبليغي

بالبنى البشرية للامة على المستويين الافقي والعمودي، ومروراً بالشرائح المفصلية فيها، بحيث تنضبط كلها في سياق واحد، ومسار تكافلي موحد، بثقافة واحدة ومشروع واحد مؤد الى غاية واحدة يتكامل المسلمون في حركة تكليفهم الشرعي للوصول اليها، ويتوحدون.

ولا تقوم ثورة إلّا باستنهاض روح المجتمع باعتبارها مكونة من أصيل ثقافته ومبادئها: «فمن استطاع أن يضع يده على روح ثورة ما، ويحييها، فانه يتمكن من تحريك جسم المجتمع بأكمله في آن واحد»[١٢٨]. وحتى يتم للامام فعل البعث والاحياء المرجو، كان لابد له من تحريك من هم بمثابة مصدر الحياة لتلك الروح المباركة، وانعاشه وتزخيمه بالقوى الضرورية، واصلاح مواطن العطب فيه حيث وجدت، وما نعني بهذا المصدر / القلب النابض سوى علماء الاسلام وفقهائه ومؤسساته الدينية التي ما استمرت للاسلام حشاشة إلّا بها، بالرغم مما أصابها من تداع وتخريب.

ب ـ جبهة الاستنهاض الثانية: علماء الدين والمجامع الدينية

على هذه الجبهة الثانية ـ كما سبق ووصفناها ـ كان اعتماد الامام اعتماداً أساسياً. فعلماء الدين هم تراجمة الاسلام، وضابطو حركة تكامل الامة، ومصدر نبض الحياة فيها، وهم ـ الى ذلك ـ مربوها ومرشدوها. فاذا ضلوا أضلوها، واذا صلحوا أصلحوها، واذا تهافتوا تهافتت معهم أركانها وتداعت. وما اصيبت به الامة، عبر التاريخ، من ويلات وانتكاسات وجمود ليس سوى دليل «آلي » على أهمية فعل ارتكاس العلماء وارتباط مصير الامة بهم. وفوق هذا وذاك فمنهم قيادة الامة، وعليهم تبعات كونهم «خلفاء للرسل» و «حكاماً على الناس» و «ورثة للانبياء»[١٢٩] «ان تقاعس العلماء وسكوتهم أشد ضرراً من تقاعس من سواهم. فالمخالفة والمعصية الصادرتان عن شخص عادي لا

يتجاوز ضررهما ـ في الغالب ـ نفسه، بينما يكون فيما يصدر عن العالم من مخالفة ومعصية، أو سكوت على الظلم، ضرر عظيم على الاسلام كله. أما اذا عمل بواجبه على الوجه الاكمل، وتكلم حيث ينبغي التكلم، فان نفع ذلك يعود على الاسلام كله أيضاً»[١٣٠].

نهض الامام الخميني في وسط هؤلاء العلماء، وترعرع وصلب عوده الفكري والسياسي بين ظهرانيهم في «المراكز الدينية العلمية التي تمارس فيها عمليات التدريس والتعليم الديني والزعامة الدينية. فهي موطن الفقهاء العدول ومهبط الطلبة والاساتذة من شتى البلاد، وهي معدن امناء اللّه وخلفاء الرسل..»[١٣١]، نهض الامام في هذا المحيط، فاذا به يجده في وضع مماثل لوضع المجتمع الاسلامي خارجه، ونظر الى المجتمع فاذا هو يعاني من ذات المشاكل والعلل التي يعاني منها رجال الدين ومؤسساتهم الدينية. انه التماثل الطبيعي بين وضع الاعضاء ووضع الرأس والقلب في الامة: سكونية وصمت وخوف، وافراغ للمقدسات من مضمونها، وغزو أنماط الفكر المضاد ونموذجه الحضاري، وطلاق بين أكثر العلماء والفقهاء من جهة والحياة والحداثة من جهة اخرى، وتعطيل لفاعلية العبادات، وخمول وتبلد في الاذهان الى درجة البلاهة، والميدان الاسلامي مسيب لسلاطين الجور وفقهائهم، وقعود عن أهم التكليفات الالهية.

رصد الامام مواقع الخلل والتعطيل تلك، ووعى طبيعتها وعللها ونتائجها الوبيلة على المسلمين والاسلام، وعلى العلماء أنفسهم.. فكان الادرى في معرفة أسرار العرين المتردي الذي عايشه عن كثب، وما فارقه على مدى عمره الطويل، فقام منه يتصدى لمفاعيل القحط والعقم والبدع، ويسل من جديد سيوف الحق ويشهرها في وجوه الطغاة، ويستنقذ قيم الاسلام الاصيلة من بين

ركام العقول المتجمدة، معيداً تحريك عافية الهدى في النفوس والهمم، ومسترداً الثقة المفقودة بالمشروع الحضاري للاسلام، ومعيداً المراكز الدينية الى موقعها الحقيقي في قيادة المجتمع والحياة وتحمل المسؤوليات التي قامت من أجل الاضطلاع بها.

يقول الامام في هذا السياق: ان «قيادة الامة الى الصلاح، ومعرفة الاسلام على وجهه الصحيح، تستلزم صلاح أهل العلم وحملة الشريعة، بمعنى: ضرورة تكامل نشاطهم التعليمي، والاعتماد على النفس والثقة بها، واجتناب الكسل والوهن والضعف والنكول، ومحاولة محو آثار ما ينشر في الناس من أباطيل، وتهذيب الافكار المتحجرة في صفوف البعض منا، وطرد فقهاء القصور الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم من صفوفنا، وابعادهم عن زينا، وتعريتهم وفضح أعمالهم»[١٣٢].

ان تنكر علماء الدين ومؤسساتهم الدينية لهذه المسؤوليات هو احداث للفراغ الكبير الذي لا يدانيه فراغ على مستوى الامة، فتغدو سائرة بلا رأس وبلا قلب، مدفوعة من الخلف بدوافع وقوى مضادة، ومشدودة من الامام بحوافز هجينة لا تمت الى ثقافتها وفكرها بصلة، بينما تنهال على جسدها سياط العصاة والمشوهين وحكام الجور والادعياء، لضبطها في مسار غربتها واغترابها عن عقيدتها ومثلها العليا وذاتها.

هذا الغياب، أو التغييب، كان مدعاة لاحداث صدمة للواقع المتهافت من خلال اعادة ملء الفراغ واستنقاذ المشروع الريادي الاسلامي مما علق فيه من أدران، ومما اسقط فيه من أعراف وتقاليد بالية. يقول الامام في هذا الواقع المزري: «انظروا الهيئات الدينية، فستجدون آثار ونتائج تلك الدعايات واضحة. فهنالك البطالون من عديمي الهمم، وهنالك الكسالى الذين يكتفون

بالدعاء والثناء والتحدث في بعض المسائل الشرعية، وكأنهم لم يخلقوا لغير ذلك. ومما يمكن رؤيته في هذا الجو من تلك الآثار هو النغم التالي: (الكلام يتنافى ومقام العالم.. المجتهد لا يليق به أن يتكلم ويحسن به أن يكثر الصمت، ويكتفي بقول: لا اله إلّا اللّه، أو يكتفي باليسير جداً من الكلام)... هذا خطأ، وفيه مخالفة للسنة الشريفة..»[١٣٣]، بقدر ما فيه من خروج على منهج القرآن[١٣٤].

ولشد ما كان يؤلم الامام في أوساط علماء الدين والحوزات العلمية، استسلام بعض المجتهدين والعلماء لبدعة فصل الدين عن السياسة. فما كان منه إلّا أن شن عليهم حملة رفض واستنكار لا هوادة فيها، وفي منتهى الصرامة والقسوة اللتين اشتهر بهما. فبمقدار ليونته ومرونته وتسامحه في التعاطي بشؤون الناس، كان هجومياً حاداً في تعامله مع علماء وفقهاء الهيئات والمجامع العلمية من حملة الافكار البائدة أو المبتدعة: «الافكار البلهاء التي يبثها الاعداء مما ذكرنا بعضها (كمقولة فصل الدين عن السياسة، ومقولة تنافي الكلام ومقام العالم..)[١٣٥] يوجد فينا من يؤمن بها. وفي هذا ادامة للاستعمار والنفوذ الاجنبي.. هؤلاء جماعة من البلهاء يدعون بالمقدسين، وهم ليسوا بمقدسين، بل متقدسين يتكلفون التقدس، علينا أن نصلحهم، وأن نحدد موقفنا منهم.لان هؤلاء يمنعوننا من الاصلاح والتقدم والنهوض... وعلينا أن ننصح أمثال هؤلاء أن يرجعوا عن غيهم، وننبههم الى الخطر المحدق بالاسلام والمسلمين وأن نفتح أبصارهم.. على الخطر الصهيوني والانكلو ـ أميركي الذي يمد الكيان الاسرائيلي بمقومات الحياة.. فان نفعت الذكرى فذلك ما نريد، وإلّا كان لنا معهم حساب آخر، وموقف آخر»[١٣٦].

إلّا أن فعل الصدمة الذي مارسه الامام لم يكن مجرد احتجاج في مجال الخطأ أو الخطيئة التي تهاوى فيها الآخرون فحسب، بل هي تقويم لرؤية

حضارية منحرفة، وتصويب لخط الرسالة واعادة احكام تثبيت العالم الديني في موقعه الحقيقي، واعادة رد الاعتبار لعلمه، ولدوره الذي تخلى عنه أو أهـمله. وبذلك يتم تصحيح العلم التائه عن هدفه بالعلم المؤدي الى الهـدف، والمـنهج المنحرف والموصل الى الانحراف عن طريق السـعي الى اعـادة مـطابقته مـع نموذجه القرآني والنبوي وخط الائمة، واعادة تـوظيفه فـي خـدمة المشـروع العالمي للاسلام، وحماية الامة من الاخطار التي تهددها، من الشرق هبت أم من الغرب، أم من عقر الدار كما يتم بذلك أيضاً ضبط أي انحراف فقهي، أو جـمود اجتهادي، بالفقه الاصيل والتجديد والابداع.

هكذا يتبوأ علم العالم درجة أمانة اللّه في عباده وبلاده: «لا يطمع في شيء من فضلات الحياة، ولا يطيع للظالمين أمراً، ولا يزكي لهم عملاً»[١٣٧]. ولابد أن العلماء يعرفون «ما جناه على الاسلام فقهاء السلاطين.. وما لتعامل الفقيه مع الجائرين من تأثير على النـاس. فـانضواء الفـقيه تـحت لوائـهم أشـد ضـرراً على الاسلام من انضواء أي فرد عادي. ومن هنا فقد شدد أئـمتنا المـعصومون على أهمية هذا الامر، ونهوا أتباعهم عن أي نوع من التعاون والتعامل مع الحكام الجائرين، حذراً من أن ينتهي الامر بالاسلام الى هذه النهاية التي نراها»[١٣٨]. واذا كان من أوليات واجبات المسلم النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، فان مـن مستلزمات القيادة العلمائية أن تقود بمواقفها «المتصلبة الشديدة»[١٣٩]، عـملية النهي عن المنكر التي تستتبع أن يقتدي الناس بهم ضد السلطة المـنحرفة[١٤٠]. و«لماذا الخوف؟ ـ يتساءل الامام ـ فليكن حبساً، أو نفياً، أو قتلاً، فان أولياء اللّه يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاة اللّه»[١٤١]. وبهذا المعنى لا يعود جهاد العالم الديني فردياً أو جزئياً، بل جهاداً مقدساً يسبق فيه سائر الناس بحكم موقعه ووظيفته اللذين اختصه اللّه بهما[١٤٢]، وهو دليل الامة وترجمان شريعتها. وهكذا نفهم ثورة

الامام على سكوت الساكتين من الفقهاء والعلماء فيخاطبهم بقوله: «لماذا السكوت. هؤلاء يذلونكم، فاصرخوا في وجوههم ـ على الاقل واعترضوا، وانكروا، وكذبوهم.. يجب أنْ يكون لكم صوت مسموع حتى لا تتخذ الاجيال القادمة من سكوتكم ما يبرر أعمال الظلمة»[١٤٣].

أما اذا كان هؤلاء السادة يتذرعون بمبدأ التقية لتبرير صمتهم، فان الامام يحتج عليهم بأن التقية قد شرعت «للحفاظ على النفس أو الغير من الضرر في مجال فروع الاحكام. أما اذا كان الاسلام كله في خطر، فليس في ذلك متسع للتقية والسكوت.. واذا كانت ظروف التقية تلزم أحداً منا بالدخول في ركب السلاطين، فيجب الامتناع عن ذلك، حتى ولو أدي الى قتله، إلّا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للاسلام والمسلمين»[١٤٤]، وهذا الواقع في ظروف هؤلاء غير قائم: «فالتقية في مثل هذه الحالة حرام، وان اظهار الحق واجب شرعي»[١٤٥].واذا كان الامام يطالب هذا الصنف من العلماء «بالحد الادنى» والقبول منهم بـ «الاقل»: أي بالصرخة والاستنكار مستنهضاً فيهم ما هو أول أبجدية تكليفهم الشرعي، فان المطلوب الى غيرهم من الفقهاء النموذجيين أن يضطلعوا بمسؤولياتهم الطبيعية والمهام التي أناطتها الشريعة بهم وقوامها: «أن يبينوا للناس العقائد الحقة، والانظمة الاسلامية، وطرق الجهاد والنضال، ويقودوا الناس، لينقاد لهم الناس تلقائياً، اذا لمسوا فيهم الاهلية والاخلاص ونكران الذات»[١٤٦]، وبمعنى آخر فان «على الفقهاء بيان المسائل والاحكام والانظمة الاسلامية وتقريبها الى الناس، من أجل ايجاد تربة صالحة تعيش على سطحها النظم والقوانين الاسلامية»[١٤٧].

وعندما يتصدى العلماء الفقهاء، الذين يسميهم الامام بـ «حصون الاسلام»[١٤٨]، للشؤون العامة للامة متحلين بصفات وشروط الاعلمية والعدالة،

فلن يضل المسلمون الطريق اليهم والاعتراف بقيادتهم. وفاق هذا التوجه المنهجي جاهد الامام على جبهة الفقهاء، يستدعي المغمور منهم، ويستحث المهمل، ويستصرخ الساكت، ويستثير المستكين، ويستوثب العاجز، باذلاً أقصى الجهد في سبيل القضاء على أسباب الظاهرة التي أفرزت في الحوزات والمجامع العلمية الدينية هذه الانماط من العلماء.

واذاكان الامام، قد اتخذ موقفاً صارماً حيال هذه الظاهرة السلبية ـ كما سبق ونوهنا به ـ فاننا نكاد نتلمس في نصوصه، قبل انتصار الثورة الاسلامية، قدراً من التشاؤم وتوقعاً لصعوبات كبرى في اصلاحها وتقويمها، لذلك نراه يميل بكل ثقله للعناية والاهتمام بطلاب المجامع العلمية الشباب، فمنهم فقهاء المستقبل وقادة الامة الواعدون، وهم جيل الدعاة الجدد المتتلمذون على الامام وفكره وفلسفته ومنهجه وجهاده، والمكلفون بحمل المشروع الاسلامي العالمي الىالدنيا، وهم جهاز الاستنهاض وبثيثه وعناصر احيائه: «أنتم شباب المراكز الدينية ـ يقول الامام (قدس سره) ـ كونوا أحياء، واعملوا على احياء أمر ربكم، والمحافظة على أنظمته.. ياجيل الشباب.. اجمعوا أمركم فسيرى اللّه عملكم ورسوله والمؤمنون، وتكاملوا، واتركوا توافه الامور، وأعرضوا عن القشور، وانهضوا بمسؤولياتكم.. أنقذوا الاسلام وأنجدوه، فالاسلام يستصرخكم، وخلصوا المسلمين من الاخطار المحدقة بهم... عليكم أن تبثوا علمكم»[١٤٩]. وها هو يحذرهم من السقوط في المهاوي التي سقط فيها العلماء المهملون المذعنون، من الصامتين أو خدم السلاطين بعدما نجحوا في تكريس نموذج علمائي منحرف «وها نحن الآن نعجز عن اقناع البعض منا بالخطأ الذي وقعوا فيه من الاعتزال وعدم الاهتمام بشؤون المسلمين»[١٥٠]، فيقول الامام في تحذيره: «ان علماء الاسلام الحقيقيين كانوا منزهين عن مثل هذا ولا يزالون. وهؤلاء

الذين ترونهم وتسمعونهم أحياناً قد ألصقوا أنفسهم بالعلماء الصاقاً، وليسوا من العلم والعلماء في شيء، انما هم جماعة من البطالين، والناس تعرفهم»[١٥١]. وفي المقابل يطرح الامام برنامج مهمات للعلماء الشباب داخل الحوزات: «ادرسوا وتفقهوا، وقوموا الهيئات والمجامع العلمية ولا تتركوها تتداعى وتنهار»[١٥٢]، اضافة الى مهماتهم العامة خارجها :« لكن في خلال دراستكم بلّغوا وأرشدوا ووجهوا وأيقظوا النفوس من سباتها»[١٥٣]، وبهذه وتلك، فان عليهم حمل رسالة الاستنهاض في كل أرجاء الدنيا واعداد أنفسهم علماً وتقوى وتحصناً بقيم الاسلام وأخلاق اللّه والانبياء: «فأعدوا أنفسكم لحفظ أمانة اللّه التي استودعكم اياها.. كونوا امناء على دينكم.. جندوا أنفسكم لامام زمانكم حتى تستطيعوا أن تبسطوا العدل على وجه البسيطة. أصلحوا أنفسكم وتخلقوا بأخلاق اللّه وأخلاق الانبياء.. ليقتدي الناس بكم في عفة نفوسكم ورفعتها وليكون لهم فيكم اسوة حسنة»[١٥٤].

جـ ـ جبهة الاستنهاض الثالثة: المظلومون والمستضعفون

عبر هذه القراءة لاستنهاض الامام أهل العلم في المجامع والهيئات الدينية، وفي نسيج الخطاب التبليغي المجسد للخطاب الحضاري، يرفع الامام وتيرة بلاغه وابلاغه الى عمق جبهة الاستنهاض الثالثة التي تتألف من المظلومين والمستضعفين في العالم من غير المسلمين. أولئك المعنيون بقضايا الحرية والعدالة المزروعين في شتى بقاع الارض، فهم ـ أيضاً جزء لا يتجزأ من قضية مشروع الامام بالاسلام، وقد أعيتهم السبل الى التخلص من الظلم والعسف والاستغلال، بعدما تسلطت عليهم قوى الكفر والاستكبار، واستلبت ارادتهم، وجعلتهم في غفلة عن أمرهم، من غير ما تعمد منهم أو تقصير ذاتي فهم مسلوبون مستلبون[١٥٥]. أولئك الذين قال اللّه سبحانه فيهم: **﴿إلّا المستضعفين من**

الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسى اللّه أن يعفو عنهم وكان اللّه عفواً غفوراً﴾[156].

من وعد اللّه وارادته في منح الارض للمستضعفين تصديقاً لقوله عز وعلا: **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾**[157]، «تتكامل قضيتا المسلمين والمستضعفين لطرد المستكبرين من مسرح التاريخ»[158]، وتلك سنة الهية أثبتها الخطاب القرآني: **﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها﴾**[159]، وما هذا التكامل سوى مرحلة على طريق توحد القضيتين في القضية الواحدة علىأرض المشروع الالهي للعالم. وليس بلا دلالة توحيد الامام الخميني للقضيتين في بعض نداءاته:

«يا مسلمي العالم، ويا مستضعفي الارض.. هيا الى النظام الذي جاء من قبل اللّه تعالى لنموكم وتكاملكم، ولسعادتكم في الدنيا والآخرة، ولازالة الظلم وحقن الدماء ونصرة المظلومين في العالم، ولاجل التربية والتعليم الانسانيين، ولاجل حرية واستقلال أقطاركم»[160]. وبغائية هذا التوحد يعتبر المسلمون أنفسهم، بأمر وتكليف ربانيين، مكلفيين ومسؤولين عن «انقاذ المحرومين والمظلومين... ومناوأة الظالمين، كما ورد في وصية أمير المؤمنين (ع) لولديه: (كونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً..)»[161]، وذلك عملاً بقوله تعالى: **﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون اللّه من أولياء ثم لا تنصرون ﴾**[162،163] واستناداً الى شمولية الرسالة، لان الاسلام «ليس لطائفة واحدة، بل وليس للمسلمين فقط.. الاسلام جاء للبشر كافة»[164]، وفاق قول الامام الخميني.

هذا التكامل التوحيدي بين المسلمين والمستضعفين المظلومين، ليس مجرد تحالف سياسي أو مصلحي، بل هو تلاحم عضوي دينامي في بنيان قضية

الانسانية الواحدة: قضية الحرية والاستقلال، بما هي في صلب تحقيق العدالة في الارض وقيام حكم اللّه. لذلك كانت دعوة الامام الخميني الى أن يكون المسلمون وطلاب التحرر في العالم يداً واحدة: «كونوا في ذلك، (التخطيط للحكومة الاسلامية والتقدم فيها)[١٦٥]..يداً واحدة مع كل من يطالب بالحرية والاستقلال»[١٦٦]، ناهيك بأن هؤلاء هم مسلمون بالقوة، وان لم يكونوا كذلك الآن بالفعل. فأنى للعدالة الواقعية أن تقوم بين الناس من غير قانون عادل؟، وأنى للحرية أن تنمو وتتشكل فتتجسد، بمعزل عن ذلك القانون الالهي الذي حرر الانسان من قيود العبودية لغير اللّه؟[١٦٧]، فمشروع الاسلام واضح، وقضيته العالمية مشهرة على الملا، ولم يكن يرقى للامام أي شك في أنها: «اذا انعكست في العالم، فان الذين يخالفوننا هم الظالمون، وهم الاقلية، والذين يوافقوننا هم الاكثرية وهم المظلومون» على حد قوله[١٦٨].

ولا يحيد الامام في منهجه الحضاري هذا قيد أنملة اقتداء بخط الرسالات الرحمانية والانبياء والائمة، ولشد ما تمثل هذا الخط من خلال امامة علي بن أبي طالب (ع) وانتصاره الدائم للمظلومين، «فعلينا الاقتداء به، فلا نسكت على الظالمين واستبدادهم وبغيهم.. فالسكوت عن الظلم، وعدم رد كيد الظالمين، في عصرنا الحالي، يعتبر تعاوناً معهم» وفاق قول الامام الخميني[١٦٩].

ان الوقوف في وجه الظلم وأسبابه، والتصدي لعوامل الاستضعاف والقهر هما تجليان لاصلين بنيويين في العقيدة الاسلامية، وهما: التوحيد والعدل. واذا كان التوحيد هو «جوهر العقيدة»[١٧٠] الاسلامية يتحرر به الانسان من عبودية غير اللّه، فان العدل «هو الشرط الاساس لنمو كل القيم الخيرة الاخرى. وبدون العدل والقسط يفقد المجتمع المناخ الضروري لتحرك تلك القيم وبروز الامكانات الخيرة[١٧١].

بهذين الاصلين الشاملين تشبث الامام الخميني في خط الاستنهاض الاسلامي بحيث تستقيم الامور كلها للّه، وباتجاهه تندفع، والى قيام حكمه وعدالته وأخلاقه ترص الصفوف، وتعبأ الجهود والجهاد والجهات، من الاسلام الى الدنيا قاطبة ومن موقع متقدم الى آخر أكثر تقدماً، ومن جوانية الفرد، الى جوانية الامة وصولاً الى العالم بأجمعه. فالمسلم حينما يقاوم الظلم في محيطه، أو في بلاده، أو في بني قومه، فانه «لا يعزل هذا الظلم عن أي ظلم آخر يمارسه الجبارون في الارض»[١٧٢]. وهو حينما يتطلع الى العدالة، فلا يراها كاملة إلّا عندما تسود الدنيا. واذا كان يؤمن بعدالة واحدة هي عدالة القانون الالهي وأحكامه، فانه ـ بالمقابل ـ مأثوم وعاص اذا أغمض عينيه عن انتقاص يصيب الحقوق المشروعة لاي انسان على هذه البسيطة. ولذلك فهو مكلف شرعاً باقامة حكومة اللّه في الكون، والدأب المستمر على تنفيذ شرائعها التي لا شريعة غيرها ـ عنده ـ قادرة على انفاذ عدل اللّه، وتحقيق سعادة الانسان في الدنيا وفي الاخرة.

بهذا المنهج الحضاري المستند الى العقيدة الاسلامية، يكون «كل اطار أو نظام لا يستمد قواعده من الاسلام فهو غير مشروع»[١٧٣] بحيث تشكل هذه اللامشروعية ـ من وجهة النظر الاسلامية ـ موقفاً ورفضاً ضمنياً لكل عمليات التحريك الحضاري التي تمارسها الانظمة والمذاهب الاجتماعية الاخرى[١٧٤].

وبهذه الاشعاعات الحضارية استنار الامام الخميني، وأنار ظلام المسلمين والمستضعفين في الارض ثائراً ومربياً ومستنهضاً فيهم قابليات الحق والعدل والخير والحرية المنضبطة في مدار المشروع الحضاري للاسلام، ونظرته للحياة والانسان وتكاملهما في مسيرة أقامة حكم اللّه، وكدحاً اليه سبحانه وتعالى عما يصفون.

رابعاً: المستنهضون

ليس بين المسلمين ـ أساساً ـ من هو خارج قضية الدعوة والاستنهاض. فالمسلم ـ في عباداته وسلوكه، وممارساته ووعيه، مهما تعددت مستوياته واختلفت ـ نموذج للتعريف والتعليم والتربية والاقتداء. انه بذاته نموذج حركة وتحريك، وقد صنع منه الاسلام انساناً مكلفاً بنظام من الافكار والقيم والاخلاق والضوابط، بحيث يغدو بها في حياته ومعيشه مقدماً ومتقدماً، فاذا هو حالة دعوة ذاتاً وموضوعاً تدب على الارض. وبهذا المعنى يكون ـ موضوعياً ـ كل مسلم في وضع الداعية المستنهض. وهو ـ بمعنى أدق ـ مدعو وداعية، ومُستَنهضُ ومُستَنهِضُ، على أساس أن مسيرته في هذا العالم مسيرة ارتقائية وتكاملية دينامية، مستقيمة الى اللانهائي المطلق، تكدح اليه ما دامت متمتعة بنعمة الحياة واستمرار تكليف الاستخلاف الالهي للانسان، وهو تكليف بأبعاد متكثرة وثابتة، محكومة بسنن هذا الاستخلاف وقوانينه.

ان هذا الهدف اللانهائي هو الوحيد «الذي يضمن للتحرك الحضاري للانسان أن يواصل سيره واشعاعه وجذوته باستمرار. وهو الذي يقترب الانسان منه باستمرار ويكتشف فيه كلما اقترب منه آفاقاً جديدة، وامتدادات غير منظورة تزيد الجذوة اتقاداً والحركة نشاطاً وابداعاً»[١٧٥]. فبتسلق الصراط المستقيم اللولبي المؤدي اليه، وبالاقتراب المستديم منه تنفتح أمام الجماعة البشرية آفاق أرحب تكشف أمامها المزيد من أسرار الطريق وعتماتها، «لان الانسان المحدود لا يمكن أن يصل الى اللّه المطلق، ولكنه كلما توغل في الطريق اليه، اهتدى الى جديد»[١٧٦]. وقد قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[١٧٧]. فكل تحقق لهدف أرضي مدعاة لمجاهدة جديدة باتجاه تحقيق هدف أسمى وأبعد، اقتراباً وسعياً الى التكامل في الهدف اللانهائي، وكل معرفة ناجزة

مآلها الى معرفة جديدة، وكل خطوة تقدمية هي تقصير لمسافة الاقتراب، وكل عبادة هي في ذاتها نماء وارتقاء وثقافة جديدة في العبودية للّه سبحانه، ومع كل تراكم كشف جديد «وتجوهر» للنفس وتألق في النعم التي لا تحصى، وكل فعل انساني يصبح استجابة واستدعاء لفعل أصلح وأشمل، وتكليفاً بالاكمل.

في هذا المنهج الحضاري لا ينقطع المسلم عن كونه مدعواً وداعية، ومُستَنهَضاً ومستَنهِضاً، ومهتدياً وهادياً. وكذلك الامة الاسلامية التي لا تتخد حقيقة «اسلاميتها» مضمونها الاصلي إلّا اذا حمل عدداً من المسلمين المشروع الاسلامي الحضاري للدنيا، متحملاً مسؤولياته الربانية على الارض[178] وقيادتها وفاق ما شرعته المشيئة الالهية من قوانين ونظم لخير البشرية جمعاء. وعلى هذا الاساس فهي امة مزودة ومختزنة بنظام علوي شامل وعادل وواحد يجعلها ـ بالضرورة ـ ذاتياً وموضوعياً، امة دعوة واستنهاض للبشر كافة، وامة التوحيد فيهم، وامة توحيدهم.

ان وحدة المشروع الالهي حول المطلق السماوي مقتضية ـ بالضرورة ـ وحدة الامة / الدعوة التي ترفعه، ووحدة الدعاة المكلفين بحمله لوحدة العالم / الوجود. ومن خلال هذه الرؤية التوحيدية الشمولية تنبثق الدعوة متخذة مضموناً احيائياً يقوم على ما يحيي الانسان في الدنيا وفي الاخرة استناداً الى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا للّه وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾[179] «فالحياة أنعم نعمة يعتقدها الموجود الحي لنفسه.. ولا يرى وراءه إلّا العدم والبطلان»[180]. أما اذا انحرف الانسان عن سوي الفطرة الانسانية والصراط الذي تهديه اليه، «فقد فقد لوازم الحياة السعيدة»[181] وفي طليعتها: العلم النافع والعمل الصالح، ولحق بالاموات، بحلول الجهل وفساد الارادة الحرة.. ولا يحييه قبل ذلك وبعده، إلّا علم حق وعمل حق تندب

اليهما الفطرة. وما يدعو اليه الرسول (ص) هو الدين الحق المتجلي في الاسلام الذي يفسره القرآن الكريم باتباع الفطرة فيما تندب إليه[١٨٢].

هذا في الحياة الدنيوية، أما الحياة الاخرى التي تندب الآية الكريمة السابقة اليها أيضاً، فهي الارفع قدراً، والاعلى منزلة، وهي الحياة الحقيقية الاكمل[١٨٣].. ورسول اللّه (ص) ـ بالاسلام ـ يدعو الناس الى هاتين الحياتين لما فيه خير الانسان فيهما، وبهذه الدعوة كانت الامة الاسلامية خير امة، وفاق قوله جل وعلا: **﴿كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللّه﴾**[١٨٤]، وهي دعوة غير منقطعة مهما تبدلت الاحوال وتتابعت الازمان.. انه تكليف الامة المعادل لوجودها، والملازم لحضورها، ومنهاجها المستقيم أبداً. **﴿فادع واستقم كما امرت ولا تتبع أهواءهم﴾**[١٨٥]، **﴿وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾**[١٨٦]. بما المسلمون امة العدل والوسط التي لا افراط فيها ولا تفريط، الى ذلك تدعو خالصة في عبوديتها للّه، مهتدية الى سواء السبيل، وهادية الى شريعة الحق والخير[١٨٧]، ومهاجرة أبداً الى القبلة المشتركة الواحدة[١٨٨]. وما المسلمون في ذلك كله إلّا نموذج نوعي وحضاري متكامل على طريق الهجرة الى اللّه، بجهاد مزدوج: جهاد يحرر الانسان من الداخل ـ وهو الجهاد الاكبر ـ وجهاد يحرر الكون من الخارج ـ وهو الجهاد الاصغر ـ «لان هذا الجهاد (الاخير) لن يحقق هدفه العظيم إلّا في اطار الجهاد الاكبر»[١٨٩]. لكن الجهادين غير منقسمين، بل «يسيران جنباً الى جنب»[١٩٠]، عملاً بمنهج النبي (ص) الذي كان ينتقل بأصحابه دائماً من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر، بل كانوا يمارسون الجهادين في آن معاً[١٩١]، كذلك كان نهج الانبياء، وكذلك كانت ثورتهم: تحريراً جوانياً، وتحريراً للعالم في الوقت نفسه، أو على الاقل ـ مرحلة من مراحل انجاز هذا التحرير العالمي، ونقلة في اتجاهه، أو قل: انه تحرير بالقوة على طريق التحرير بالفعل.

تلك هي البنى التأسيسية للمشروع الحضاري للاسلام كما تنزل به الوحي، أو كما شاءه أن يكون، وكما جاهد في تحقيقه وارساء قواعده خاتم النبيين (ص). ولم يطل الزمن حتى راحت المسيرة الحضارية للامة تتداعى وتتحلل وتنشطر، بالرغم من حالة التمدد والتوسع المختزنة لحالات وأوضاع مرضية معقدة من القمة الى القاعدة. واستمرت عوامل التفسخ والانهيار والذهول عن الذات تتراكم وتتفاعل الى أن صارت الامة أمماً بفعل التجزئة والتبعيات واختراقات البدائل الحضارية المستوهمة، وهجرات القنوط واللوذ بالمثل السرابية أو السلفيات المتكلسة.

ومع ذلك كله، وفي تاريخ هذا الاختناق، وبفعل الفساد والافساد الشاملين، وعلى خطى الانبياء والائمة والصديقين وأولياء اللّه الصالحين الذين حفظوا وحافظوا على الاسلام أمانة الهية للاجيال، كانت نهضة الامام الخميني بالمشروع الاصيل، وأحوال الامة كما وصفنا، طاوياً في وعيه التاريخي ثلاث مساحات: الامة كما كانت، والامة كما هي، والامة كما يجب أن تكون. ولم تكن معايير هذا الادراك إلّا معايير الاسلام في سننه التاريخية والتطورية والاجتماعية والسياسية، وقوانينه ومفهومه للانسان والحياة، كما سبق لنا وأكدنا مراراً. فمن الاسلام جاء الامام، وبه انطلق، والى تحقيق أهدافه وصل ليله بنهاره في شتى الميادين والمجالات، والى مشروعه نهض ودعا واستنهض الداخل والخارج، والقاصي والداني، والمجتهد والجهلة من العامة.. وصولاً حتى الى ظالمي أنفسهم والخصوم الايديولوجيين والاعداء.

ولم يكن بد ـ كما السنة والقانون الاجتماعيان والسياسيان ـ من وجود حملة لمشروع الاستنهاض المستفيق، يؤمنون به ويعرفون تفاصيله، ويستلون حجج التأثير والاقناع به، ويربون الامة على الانخراط في الجهادين الاكبر

والاصغر لتحقيق أهدافه، ويدعون اليه العالم، و «ينمذجونه» في أنفسهم وللآخرين قدوة ومثالاً واخلاقاً، ويشحذون نحوه الهمم، ويستثيرون العقول والافئدة، ويستنطقون التاريخ والحياة، ويخططون للمعيش والمستقبل، وهم يطوون في وعيهم خط المساحات الثلاث الآنفة الذكر وصولاً الى تحقيق أهداف الرسالة كاملة واضطلاع الامة بمسؤولياتها التي اختارها اللّه لها.

ولا يمكن لهؤلاء الهداة المبلغين،إلّا أن يكونوا مهتدين أصلاً، ليستطيعوا هداية الآخرين الى ماهم مهتدون به واليه، كما أن كونهم مهتدين يكلفهم ويلزمهم هداية غيرهم. ومن هذا التكليف يتشكل التزامهم الاجتماعي، اذ ليس بمقدور مسلم أن ينعزل أو يعتكف عن سائر الامة ليصل الى الجنة وحده. «فالمجتمع يشكل علة مادية»[١٩٢] لعمل المستنهض الذي يفقد أي مبرر له اذا لم يكن «حاملاً لعلاقة مع هدف وغاية، (ولم يكن) في نفس الوقت ذا أرضية أوسع من حدود الفرد، وذا موج يتخذ من المجتمع علة مادية له، وبهذا يكون عمل المجتمع»[١٩٣].

في مدى الرؤية هذه نقرأ العلاقة التكافلية التضامنية بين المستَنهَضين والمستَنهِضين، وبين ما تحدث عنه القرآن في صيغة «كتاب الامة» و«كتاب الفرد» من خلال قوله تعالى: **﴿وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ماكنتم تعملون * هذاكتابنا ينطق عليكم بالحق اناكنا نستنسخ ماكنتم تعملون﴾**[١٩٤]، وقوله تعالى: **﴿وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾**[١٩٥] وعندما يحمل عمل المستنهض في مستنهضه روحاً تغييرية على أساس التصويب والتقويم، أو على أساس الاصلاح أو الثورة، فان هذا العمل يتفتح على بعد تاريخي باعتباره عملاً نوعياً ينعكس على مسيرة الامة، فيصبح

مداً ظاهراً، وحافزاً انبعاثياً تستجيب له فيتمثل في كتابها، وتستفيد من مفاعيله ونتائجه ليغدو موضوعاً للسنن التاريخية[١٩٦]، أي قوانين اللّه في عباده.

وفي مدى هذه الرؤية أيضاً نقرأ دور الداعية المبلغ في دور الامة وحضنها بما هما دوران متكاملان ديناميان. ففي الوقت الذي يكون فيه الداعية داعياً فهو مدعو أيضاً، وفي الوقت الذي تكون فيه الامة مدعوة فهي داعية أيضاً، بتجذر وانتشار «عدوى» الرسالة في نسيج خلاياها وأجزائها، بما هي رسالة تقدمية متجددة من خلال ثوابتها الالهية فـ«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وفاق قول رسول اللّه (ص). ولعلنا لا نبالغ اذا زعمنا أن الداعية هو امة في رجل، تتجسد فيه، ويذوب فيها، على قاعدة من التوحد الغائي والمشاركة في الهم والمصير والمسيرة، بحيث كلما تحقق على دربها هدف أو اهتدت الى حقيقة، انتقل كل من الداعية والامة، أو كلاهما، الى هدف أسمى وحقيقة أكبر.

بهذه الدلالات لا يكون المستنهضون والدعاة الاسلاميون مجرد «كادرات حزبية» ـ بالمعنى التقليدي للعبارة ـ ولا وسطاء أيديولوجيين، ولا تكنوقراطيين اعلاميين، بل هم تراجمة الهيون، ومربون للامة، ورساليون انسانيون، ونموذج حضاري للمسلم الحقيقي الذي لا يرى في غير العبودية للّه معنى لخلقه ووجوده على هذه الارض، ولا يجد خارج الاسلام مشروعاً فيه ضمان لخير الانسانية وسيادة الحق والعدل بين الناس. ولذلك ارتضى الاضطلاع بمسؤوليات جسام والتصدي لاصعب المهمات نظراً لضخامة الامانة وحجم الصعوبات والموانع.

على صورة الامام الخميني ـ اذن ـ كان مثال المستنهض الاسلامي، وبالمواصفات والشروط التي عرفناها في الامام ـ رضوان اللّه عليه ـ وقد كانت حوله ثلة من التلامذة والعلماء والشباب أخذوا على عاتقهم حمل الرسالة

وتبليغها مهما تكن التضحيات فنالهم منها الكثير؛ اغتيالاً وسجناً ونفياً وتشريداً ومرارات شهيرة مشهودة قبل أن تؤتي جهودهم اكلها، فكانوا خير قدوة لخير قضية.

لقد أدرك الامام منذ البداية المدى الكبير للمسؤولية التبليغية فقال: «ان مسؤوليتنا اليوم، في الوقت الذي تتعاون فيه كل قوى الاستعمار وعملائه وحكامه الخونة، والصهيونية، والمادية الملحدة، على تحريف وتشويه الاسلام، هذه المسؤولية اليوم أكبر منها في أي وقت مضى»[١٩٧]. إلّا أنه توجه في حملها الى علماء الاسلام أساساً لاسباب باتت في أذهاننا بمثابة المسلمات، ولعل في طليعتها ذلك الاخصاب الثقافي والرسالي الذي تنامى في المشرق الاسلامي على أيدي الفقهاء والعلماء على مدى أحد عشر قرناً، اذ «لا نجد هكذا حياة مستمرة لثقافة من الثقافات طوال أحد عشر قرناً من الزمان، بل لا يمكن أن نجد دواماً ثقافياً بالمعنى الواقعي، وبروح وحياة واحدة بدون انقطاع.. طوال هذه القرون المتمادية إلّا في الحضارة والثقافة الاسلاميتين. واذا كنا نرى في سائر الحضارات والثقافات سوابق أطول، لكنها كانت تنقطع وتتوقف ثم تجد حياتها مرة اخرى»[١٩٨]. وقد أورث ذلك خزيناً فكرياً ثراً تناقلته الاجيال التي تخرجت من المؤسسات العلمية الاسلامية، وتحملت تبعات حفظ الاسلام الاصيل على مر الزمان. فظل العالم الديني محتفظاً بدور مرموق وقيادي، وعلى تماس مستمر بحياة الناس وهمومهم وشؤونهم، ولو في حدود متفاوتة من الاستقلالية في الموقف والقرار، في ظروف الصراع غير المتكافئ الذي لم ينقطع مع سلطان الحكام الساعين دائماً الى احتواء العلماء واستتباعهم واخضاعهم، وفي مواجهة هجوم الايديولوجيات الوافدة وتقديماتها الحضارية التي أعشت العقول والافئدة وأمعنت في تشتيت الرؤى والصفوف.

يقول الامام الخميني في هذا السياق: «ان الاسلام قد صين وحوفظ عليه، من البدايةالى اليوم، بسواعد علماء الدين الكرام. فهم الذين قاموا بشؤون علوم الاسلام، وقدموا الادلة والبراهين على حقانية الاسلام وصدق فلسفته.. وهم الذين برهنوا على سموه الاخلاقي بفضل التزاماتهم العرفانية المجيدة، وهم الذين حافظوا على الفقه الاسلامي، وحفظوه من التحريف والتشتت، وهم الذين دافعوا عن سياسته، وحافظواعلى خططه من الضياع والانحراف. كل ذلك انما بقي محفوظاً الى اليوم بفضل الطاقات الضخمة التي بذلها العلماء الروحانيون، علماء الدين العظام»[١٩٩].

لم تكن المواصفات التي أكد الامام ضرورة تحلي المستنهضين بها خارجة عن مثال الداعية / النموذج الذي وصفناه، وهي نفسها التي طالما تميز بها المبلغون الاسلاميون في التاريخ منذ قيام البعثة النبوية الشريفة، والتي تمثلت ـ خصوصاً ـ في علماء الدين، أو على الاقل ـ افترض تمثلها فيهم وأهمها السعة في العلم والوعي، مع مايستدعيه ذلك من معرفة معمقة بالعقائد والاصول والاحكام الاسلامية، وبالنفس الانسانية وأسرار فطرتها وقابلياتها وفاق المنظور الاسلامي، واقتران العلم والمعرفة الهاديين الغائيين، بالتطبيق العملي، اذ «لا ينفع العلم بدون العمل. العلم والعمل جناحان يرفعان الانسان الى درجة الانسانية» ـ بتعبير الامام ـ[٢٠٠]. يضاف ذلك الى ضرورة التحلي بالفضائل والقيم الاخلاقية الالهية، والقدرة على استقطاب الناس واقناعهم والتأثير فيهم وارشادهم الى سواء السبيل، وفاق المعايير التي سبق تحليلنا لها.

ولا ريب في أن هذه الموصفات ـ متكاملة ـ لابد من ان يرافقها ايمان المستنهض اليقيني بتفاصيل مشروع الاستنهاض الذي يرفع لواءه والمتجلي في «العقائد والاهداف الاسلامية السامية التي تستند اصولها ومبادؤها الى الفطرة

الطاهرة والعقل الانساني السليم»[٢٠١]. وبذلك يتحول المستنهض الى قدوة ومركز استقطاب وجاذبية للمستنهضين، بحيث يطمئنون الى أنهم قد وجدوا في المستنهض ضالتهم[٢٠٢] واسوتهم الحسنة ومصداقية ما يدعوهم اليه، فتنجح عملية اعادة صناعة الانسان فيهم وينقادون اليه ماداموا قد لمسوا فيه «الاهلية والاخلاص ونكران الذات»[٢٠٣]، ويتقبلون التسليم بقيادته. وعلى هذا يكون قد أدى الامانة الالهية التي تعهد بايصالها الى الهدف، وأنفذ فعل هذا التعهد بجعلها خبزاً يومياً للامة، ومعيناً لا ينضب تنهل منه وتتزود في مسيرتها الشاملة.

ولن يكون في وسع العلماء المستنهضين «قيادة الامة الى الصلاح»[٢٠٤] المنشود إلّا بعد أن يكونوا قد استوفوا مهمة اصلاح انفسهم وهيئاتهم ومجامعهم الدينية[٢٠٥]، فتنضج عوامل مبايعتهم والتأسي بهم، وتستتم شروط شرعية تحركهم وقوته بتوحدهم في الناس. وما تلك القوة إلّا استمداد من قوة المستنهضين وليست راسخة إلّا بها: «ان قوة العلماء مستمدة من قوة الشعب، لذلك فهي راسخة لا تتزعزع»[٢٠٦]، وباتحاد هاتين القوتين المتصعدتين من وحدة المشروع الاحيائي الذي يضطلعان به، يكمن سر انتصاره. وها هو الامام يؤكد على الدعوة الى تلك الوحدة الشاملة قائلاً: «يجب أن تعمل جميع القوى الاسلامية من العلماء الاعلام والخطباء الكرام وطلبة العلوم الدينية والجامعيين والشباب الاعزاء والتجار المحترمين والعمال والفلاحين الشرفاء الواعين، وجميع التنظيمات والاحزاب السياسية... يجب أن تعمل كل هذه القوى بقلب واحد لتوعية ضباط الجيش والشرطة، وتشاركهم في اسقاط هذا الشاه المجرم، وتحرير هذا الشعب من هذا الظالم الباغي»[٢٠٧]، وذلك كهدف مرحلي على طريق تحقيق الهدف الاكبر، وهو اقامة الحكم الاسلامي وبناء السلطة القادرة على تلبية احتياجات الجماهير الاساسية[٢٠٨] استناداً الى «المثل الاعلى الوحيد.. وهو عصر الرسول العظيم (ص) وعهد الامام علي بن أبي طالب (ع)»[٢٠٩]. «فمن

أجل نيل هذه الاهداف يجب أن تعمل جميع فئات الشعب بقلب واحد واستراتيجية واحدة، وأن ترفع الشعارات المراعية للزمان والمكان»[٢١٠].

واذا كان الامام يعتبر علماء الدين، والشباب منهم خاصة، عماد فعل الاستنهاض وطليعته الحية، فانه كان يرى أيضاً الى شريك نوعي آخر قوامه الطلبة الجامعيون والمثقفون الاسلاميون باعتبارهم قادرين ومؤثرين في دفع النهوض قدماً بما يملكون من ثقافة ووعي والتزام، فيوصي العلماء بالتعاضد والتآخي والتكامل مع هؤلاء: «مدوا يد الاخوة الى اخوانكم المثقفين والجامعيين.. قفوا الى جانبهم، وتعاونوا جميعاً على العمل من أجل البلدان الاسلامية، فانها على حافة الهلاك»[٢١١].

على هذا التآخي الاسلامي عقد الامام أبلغ الآمال محدداً دوره ومهماته اذ يقول: «انني أعقد أبلغ الآمال – وأنا في منفاي الثاني ـ على جهود الشباب المسلم من علماء دين وجامعيين، وأتوقع أن يتمكنوا، بعد تهذيب أنفسهم واخلاص نياتهم، من التعمق في الدراسة والبحث في سبيل معرفة الشريعة الاسلامية واسسها النيرة، وأن يعرفوا الاسلام للناس على حقيقته، وأن يوقظوا الامة ويبينوا أوجه الفرق بين الاسلام الذي أتى به رسول اللّه(ص)، والاسلام المزيف»[٢١٢].

وفي السياق نفسه يقول أيضاً: «يجب عليكم ـ أنتم شباب الاسلام الواعي وأمل امتكم الاسلامية ـ توعية الجماهير وفضح أدوار المستعمرين وخططهم المشؤومة.. ابذلوا مزيداً من الجهد في سبيل معرفة الاسلام، وادرسوا تعاليم القرآن المقدسة جيداً، وطبقوها، وزيدوا من سعيكم واخلاصكم من أجل نشر الاسلام وأهدافه الكبرى وتعريف الامم الاخرى بها.. ومزيداً من الاهتمام بمسألة الدولة الاسلامية والمسائل المتعلقة بها.. كونوا مهذبين ومدربين.. اتحدوا وتنظموا ورصوا صفوفكم، واسعوا لتكوين الانسان المضحي المتوافق

معكم فكرياً..»[٢١٣].

هكذا تتحرك دائرة الاستنهاض الاحيائي منطلقة من الاسلام علماً ووعياً به ومنه وله، وأخلاقية في العمل به، خروجاً الى ميدان الاستنهاض الكبير وهو الامة فالعالم، بحيث تكون معرفة الاسلام والعلم به نقطة مرجعية؛ فالعلم أقوى داعية الى العمل الذي يدور في جميع شؤونه مدار العلم، يقوى بقوته، ويضعف بضعفه، ويصلح بصلاحه، ويفسد بفساده.[٢١٤] واذا ما انضبطت المعرفة والعلم بالاسلام وبالقيم الاخلاقية الاسلامية، فان العمل والتطبيق لا يحيدان عن الاهداف التي يرتقي اليها العلم. وبالتالي فان التبليغ / العمل، أو الاستنهاض / الفعل، لا يكونان إلّا في خدمة هذه الرسالية المعرفية والارتفاع بالامة اليها.. ثم بالعالم. ولا يبلغ المستنهض الغاية إلّا بالعودة الى مرجعية العلم بالاسلام والتخلق بأخلاقه ليتزود بّالمزيد من الوعي والمعرفة والحصانة الاخلاقية، وليتابع استنهاضه بوعي أعمق وثقافة أشمل توصلاً الى هدف/ حقيقة أسطع. وبذلك، لا يفارق الاغتراف المعرفي الداعية في حركته كلها، فاذا هو في كل دورة من دوائرها متجدد مرتق ضابط لمساره، ومحصن له من الانحراف والتشتت والضياع، فتبقى أهدافه نصب عينيه باعثة لكل أنشطته ومحفزة لكل طاقاته.

ولا يكتفي الامام بهذه التعاليم والوصايا العامة، لكنه، في الكثير من الاحيان، يخوض في وضع خطط شاملة وضوابط دقيقة لتوجهات المستنهضين: «عليكم أنتم الشباب الواعي.. أن تضعوا الاسلام وأحكامه في مقدمة أهدافكم، وان تحقيق هذا الهدف السامي لا يتم أبداً بدون الوصول الى الدولة الاسلامية العادلة»[٢١٥]. وبما أن التولي والتبرؤ هما أصلان أساسيان في الاسلام، فان على هؤلاء المستنهضين أن يؤيدوا الدولة العادلة، ويلتفوا حول الحكم

العادل وأن يتبرأوا من النظم اللا اسلامية، وبدون ذلك لا يمكن لهم أن يـحققوا الاستقلال والحرية[٢١٦].

وفي اصول التعاطي مع الخصوم العقائديين أو المتأثرين بـالايديولوجيات المضادة، يطلب الامام من المستنهضين الاسلاميين المبادرة الى دعـوة «كـل الذين يخالفون الاسلام، عقيدة وعملاً، والذين ينسقون مع المدارس الاخـرى ويميلون اليها.. الى مدرسة الاسلام التقدمية العادلة»[٢١٧]. أما من ينكص على عقبيه منهم ولا يقبل الدعوة فـ«عليكم أن تتبرأوا منه، أو تحذروه على الاقـل. مهما كانت منزلته ومكانته»[٢١٨]، لان الامام يعلم حق العلم أنه «ما لم توجد عقيدة التوحيد وروحها في شخص، فانه من المستحيل أن يتخلى عن ذاته ويعطي كل فكره للامة»[٢١٩].

﴿ومن أظلم ممن افترى على اللّه الكذب وهو يدعى الى الاسلام﴾[٢٢٠].

﴿اللّه أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون﴾[٢٢١].

ومع كثرة أعباء المستنهضين واختلاف أنشطتهم وتـنوعها، فـان الامـام لا ينفك يؤكد ضرورة التزود المستمر بذخائر العلم والمعرفة والثقافة الاسـلامية وتوسيع آفاق وعيهم بها، وتثبيت انتمائهم اليـها وتـعميق اعـتقادهم بـاصولها، وتوثيق اطلاعهم على تاريخها وتجاربها، والتكريس الدائم لقيمها في أرواحهم وعقولهم، بحيث «يصرف الشباب الجامعي وطلبة العلوم الدينية الشباب قسماً من وقتهم لمعرفة اصول الاسلام الاساسية، وفـي مـقدمتها: التـوحيد والعـدل ومعرفة الانبياء الكـبار (أنـبياء أولي العـزم) واضـعي حـجر الزاويـة للـعدالة الاجتماعية والحرية الحقة، ابتداءً بابراهـيم الخـليل، وانـتهاءً بـخاتم الرسـل والانبياء محمد (ص)، وفي معرفة طرق تفكيرهم في مجالات العقيدة والسلوك الفردي والتنظيم الاجتماعي، لكي يتعرفوا على مواصفات الاشـخاص الذيـن

اختارهم الاسلام لدولته العادلة، وعلى مواصفات الاشخاص الذيـن رفـضهم وطردهم من دولته وكل متفرعاتها»[٢٢٢].

وليس هذا التردد الاصولي والمرجعي الى مصادر الاسلام وعقائده وتاريخه مسألة ثقافية تراكمية بحثه، انما هو «تـعميد» مـعرفي لتـرسيخ فـعل الايـمان بالاسلام وتطويره باستمرار في نفوس طليعة الاستنهاض «ليـلتزموا بأحكـام الاسلام بجميع أبعاده»[٢٢٣] ويتيقنوا بأنفسهم، بأن الخلاص والحرية الحقيقيين غير متحققين إلّا بالمشروع الاسلامي، وبأن العدالة الاجتماعية الالهية التي حملها، هي وحدها الكفيلة بعتق الخليقة من نير الظلم والاستعباد، والتوزيع المـتوازن والعقلاني. فيقول الامام: «عليكم أنتم، طلبة الجامعات، وسـائر طـلبة العـلوم الدينية... أن تلتزموا بأحكام الاسلام بجميع أبعاده، وأن تطمئنوا الى احتوائه كل ما يحقق صلاح المجتمع في تحقيق العدالة الاجتماعية، ورفع الايدي الظالمة، وتأمين الاستقلال والحرية والحلول الاقتصادية وتعديل ميزان الثروات بصورة منطقية ومقبولة. فكل ذلك موجود فـي الاسـلام بـصورة كـاملة، ولا يـحتاج الى تأويل خارج حدود المنطق»[٢٢٤]. واذا ما تحصلت هذه الطـمأنينة بكـمال المشروع الاسلامي للعالم لدى المستنهضين، فمن البديهي أن يسعوا ويـجدوا في نقلها الى الامة المستنهضة فتستعيد بذلك كبرياءها وثقتها بصلابة وعصمة عقيدتها وكمالها، «فان في هذا تقوية للروح المعنوية، واضعافاً لمعنويات العدو واهتزازاً لكيانه»[٢٢٥].

على مدى هذه المتابعات والتداعيات الاحيائية التأسيسية، لم يغادر الامام الخـميني ـ كـما رأيـنا ـ أياً مـن شـروط المسـتنهض الاسـلامي النـموذجي ومواصفاته، والامام قمة الهرم الاحيائي، إلّا وأحـصاه عـندما راح يـؤكد لزوم تشبث المستنهضين بالمصداقية والصدق مع الذات والآخرين، باعتبارهم هداة

الى الحق ودعاة للحقيقة، وذلك بغية تـحصينهم مـن السـقوط، تـحت ضـغط الصعوبات واحتدام الصراع مع أعدائهم، في الذرائعية الايـديولوجية والتـلفيق السياسي بحيث تفترس الوسيلة المباحة غايتها، ويحرف ارتفاع حماس تحقيق الانتصارات السريعة ويضل عن الامانة في القول والتعبير والحـجة، ويـحجب السبل المشروعة في التعبئة الاخلاقية وأخلاقية التعبئة. ففي الاسلام، لا وصول الى حق عن طريق باطل، ولا أحياء لحق باحياء باطل. والحق والحقيقة، أولاً وآخراً، رائدا الاستنهاض.

يقول الامام: «كونوا أشداء أقوياء في بيان حجتكم للناس لتغلبوا عـدوكم بكل أسلحته وعساكره وحرسه.. بينوا الحقائق للجماهير واسـتنهضوها»[٢٢٦]، «وقد غدا صعباً على الداعية المسلم أن يعرف الناس بالاسلام، وفي قبالته يقف صف من عملاء الاستعمار ليأخذوا عـليه الآفـاق عـجيجاً وضـجيجاً»[٢٢٧]... فالمستنهض «يقود عملية الامر بالمعروف والنهي عـن المـنكر التـي تسـتتبع أن يقتدي الناس به بمجموعهم»[٢٢٨]، وبالتالي فان عليه أن «لا يـفرط ـ عـلى الاقل ـ في اظهار الحقائق»[٢٢٩]، وقد قال تعالى: ﴿وأن ما يـدعون مـن دونـه هو الباطل﴾[٢٣٠].

واذا كان توحد المستنهضين في الناس، وتوحد مكونات المجتمع وعناصره ـ في الاستجابة لطروحاتهم وتلبية دعوتهم ـ أساسيين في توفير أسباب تحقيق الاهداف والوصول الى النصر، فان وحدة المستنهضين أنفسهم شرط ضروري لذينك التوحدين. وقد كان من الطبيعي، أن يعمل الامام على ابقاء المستنهضين بنياناً مرصوصاً في انشداده الى وحدة المشروع الاحيائي التوحيدي، وتوحيد لغتهم وشعاراتهم وحركتهم وأنماط انخراطهم التبليغي. اذ ليس ثـمة مـا يـبرر نشوء الاختلافات فيما بينهم، طالما أنهم يـحملون المشـروع نـفسه والقـضية

نفسها، ويجاهدون لتحقيق ذات الاهداف، ويقاومون أعداء مشتركين، ناهيك بما تؤدي اليه الاختلافات، التي يعتبرها الامام «سرطاناً مدمراً»[٢٣١]، من العواقب والمضاعفات التي تهدد وتفسد كل شيء... ولذلك ماانفك يدعو الى وحدة المستنهضين المطلقة: «تجنبوا الاختلافات بصورة مطلقة وحتمية، لانها تسري كالسرطان المدمر.. انها تشل النشاطات، وتنسي الهدف الاساسي، وكثيراً ما تسبب في تغيير المسار، وتدفع بالمسيرة الى غير الهدف... اطردوا الاشخاص الذين يثيرون الاختلافات، أو الذين يتمسكون بها لانهم اما من المدسوسين، واما من ذوي الاغراض السيئة»[٢٣٢]... «فلتكن قلوبكم حديدية.. رصوا صفوفكم، ووحدوا كلمتكم، وكونوا من الذين قال اللّه في حقهم: **﴿ان الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾**[٢٣٣].. انهضوا للثورة والجهاد والاصلاح..»[٢٣٤].

قواعد الاسلام والاستنهاض

اذا كان المستنهضون الاسلاميون هم عقل الامة ونبضها، فالمساجد والمجامع والمناسبات الدينية هي قواعد حركتها ومراكز اجتماعها وفعلها الجمعي اللذين يتجاوز المسلم فيهما «أناه» الفردانية، حتى على مستوى العبادة ذات البعد الشخصي، ليصبح الـ«نحن» ويتخذ فيها المسلمون صفة «مصغر» الامة، فلا يعودون مجرد أفراد متفرقين «شعائريين» فحسب، بل يتحولون الى «حالة» توجه بالعبودية «المعممة» للّه، منقطعين عن عبادة غيره، وفاق قوله تعالى: **﴿وأن المساجد للّه فلا تدعوا مع اللّه أحداً﴾**[٢٣٥].. **﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون﴾**[٢٣٦].

وهذا «الاستدعاء» ليس بشرياً على الاطلاق، قرره شخص متوجهاً الى

شخص آخر أو الى جماعة، لكنه استدعاء الهي. وعندما يكون الاستدعاء، الهياً، فانه يعني استدعاء الى المشروع الالهي الشامل.. أي الى الاسلام بكليته، والى المسلمين كافة، وبالتالي فهو استدعاء جمعي مقدس الى مناسبات مقدسة وأمكنة / قواعد مقدسة. وليس عبثاً أن يكلف المدعوون بتلبية الدعوة طاهرين متطهرين جسداً وروحاً ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار﴾[٢٣٧]، في قواعد طاهرة يهبون منها قياماً جوانياً وخارجياً للعزة الربانية، محيين شعائرهم، ومنخرطين في شعاراتها ومشروعها، ارتقاءً عمودياً في التكامل معها.

وفاق هذه الابعاد الاحيائية المشرعة على المطلق «تتأنسن» تلك القواعد فوق المكان والحجر والتقنيات المعمارية والمادية والتاريخ لتصبح استنهاضية، لان البشر هم الذين يحركونها ويتحركون من خلالها حركة خالصة للّه، بعيدة عن اختراقات الداخل النفسي الشيطاني والخارج الطاغوتي، ﴿يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه واقام الصلاة وايتاء الزكاة﴾[٢٣٨]. فهذه القواعد هي بيوت له، وهي بيوت للجماعة الاسلامية أيضاً، منها أقامت نهضتها صلاة ومحافل دينية، وسيرت شؤونها العامة، وانبثقت مؤسساتها الزمنية، وشع قضاؤها وعلمها وتعليمها، وفيها تكونت شبكة وصلها واتصالها وتواصلها بالامة وسياستها، وانعقدت عند محرابها رايات حربها وسلمها ومعاهداتها، وحولها ومن خلالها تنامى الاسلام واضطردت مسيرته ودخل الناس فيه أفواجاً وأفراداً، فزحفت هذه القواعد الى العالم والجماعة الاسلامية وراءها[٢٣٩].

وبمعنى آخر يمكننا القول ان هذه القواعد، في تاريخها وحضورها الدائم في قلب شؤون الامة كافة، وحضور الامة فيها، وفي طهارتها وقداستها ورموزها،

هي كتاب الاسلام العملي وفعله الروحي ومركز دعـوته وتـجل أساسي مـن تجليات كون «عباداته توأم سياساته وتدبيراته الاجتماعية، فـصلاة الجـماعة مثلاً واجتماع الحج والجمعة يؤديان ـ بالاضافة الى ما لهما مـن آثـار خـلقية وعاطفية ـ الى نـتائج وآثـار سـياسية»[٢٤٠] ولذلك «اسـتحدث الاسـلام هـذه الاجتماعات، وندب الناس اليها والزمهم ببعضها حتى تعم المعرفة الدينية، وتعم العواطف الاخوية، وتتماسك عرى الصداقة والتـعارف بـين النـاس، وتـنضج الافكار وتنمو وتتلاقح، وتبحث المشكلات السياسية والاجتماعية وحلولها»[٢٤١].

من بساطة هذه العبادات السياسية، والسياسات العبادية، تـتخذ القـواعـد بساطتها، ومن خشوع قلوب المؤمنين وخلوص نواياهم الى اللّه تخيم هـيبتها ووقارها، ومن تآخيهم وتقواهم واصطفافهم عند قبلتها ووحـدتهم وتـفاعلهم، تتفعل حيويتها، ومن تكامل فرديتها وجماعيتها تستمد تلك القواعد انصهارها في الجماعة وتكاملها معها، فمن بحر الامة تغرف وتقدم، ومن دورهـا تـرتفد حركة الامة شرعيتها وبركات سعيها الالهي.

خصوصية موقع هذه القواعد والخلايا الاستنهاضية مستمدة من خصوصية العلاقة بين العابد والمعبود في الاسلام، ومن تكامل الفردي والاجتماعي فيه، ومن توحد الذات والموضوع في المشروع الحضاري الاسلامي، وعلى رؤوس الاشهاد بعيداً عن أية أسرار كهنوتية أو توسطات تهتك روحانية الارتباط بين اللّه تعالى والانسان. فاندفاعات المسلم الى تلك القواعد هـي مـجموعة مـن الحوافز التي تفيض من جوانيته وباطنه، ومن الرغـبات التـلقائية ـ اللاارادية أحياناً أو في لحظات التدفق الروحي الخاص ـ فتجعل «الذهاب الى الحج من أغلى أماني الحياة، وتحمل المرء تلقائياً على حضور الجماعة والجمعة والعيد بكل سرور وبهجة»[٢٤٢].

لقد أدرك الامام ـ وهو امام حركة الاستنهاض ـ أهمية الدور الانبعاثي لقواعد الاسلام وخلاياه تلك، فتوجه الى استدرارها والافادة من جهوزيتها لتزخيم مسيرة النهضة وتنظيمها وادارة أزمتها، واستنهاض الامة واعادة الحياة الى بدنها المنهك، واعتبر حركة الجماعة الاسلامية فيها، وارتباطها بها، وتقديسها لها «فرصاً ذهبية لخدمة المبدأ والعقيدة»[٢٤٣] بهدف تبيين «العقائد والاحكام والانظمة على رؤوس الاشهاد، وفي أكبر عدد ممكن من الناس»[٢٤٤] واعادة الامة الى ذاتها واقامة حكم اللّه في الارض، متوقفاً عند خصوصية كل قاعدة لينطلق منها الى الشؤون العامة للامة، هادياً ومربياً ومرشداً، من الحج، الى الاعياد الدينية، الى عاشوراء شهر محرم...الخ، فلا يترك صلاة جماعة مناسبة جامعة إلّا واستخدمها في الدعوة الى الاسلام ومشروعه العالمي الرحماني، مستلهماً من كل قاعدة أو مناسبة عبرها وتاريخها ودروسها، معبئاً ومثقفاً ومحرضاً، داعياً المستنهضين الى بذل وسعهم في الافادة منها وفاق منهجه، فتحولت هذه القواعد، بعد حين، مراجل حامية تغلي بالغضب وتتمخض بالثورة، عندما استرجعت كل عبادة من عبادات الاسلام حقيقتها في كونها ممارسة لفعلين متكاملين: أحدهما شخصي وثانيهما اجتماعي سياسي[٢٤٥].

والجدير بالالفات على هذا الصعيد، أن المشكلات التي تعاني منها عادة حركات الاستنهاض والتغيير في العالم على مستوى الاتصال وتنظيم الصفوف والعلاقة الرابطة بين الجماهير وقيادتها، ليست مطروحة ـ بذات الحدة على الاقل ـ في دورة الاستنهاض الاسلامي، وكما قادها الامام الخميني، وذلك من خلال ارتباط المستنهضين بأئمة القواعد في المساجد من المستنهضين المرتبطين بدورهم بالمرجع الديني المستنهض، مما كان له أبلغ الاثر في تشكيل شبكة تنظيمية وعلاقات اتصال وتنسيق دقيقين بين القاعدة الشعبية

وقائدها وبتكامل لا انقطاع فيه[٢٤٦].

وتأتي في طليعة قواعد الاستنهاض؛ المساجد التي قال الامام فيها «انها وحدها التي لم تحمل أسماء أجنبية»[٢٤٧]، فهي «قلاع الاسلام الحصينة»[٢٤٨]، ولطالما حض الناس على قطع هجرتهم عنها والمحافظة عليها[٢٤٩]، وذكرهم بتاريخها الجهادي ودورها في توحيد الامة وخدمة قضايا الانسان في العالم قائلاً: «لقد انطلقت، منذ صدر الاسلام الى اليوم، كل الحركات من المساجد. فالمسجد هو الذي أوجد القوة الموحدة ضد الكفار والمشركين.. بهدف قطع أيدي الشرك والكفر ولدعم المستضعفين ضد المستكبرين»[٢٥٠]، كما كان للامام موقف تجديدي في تأكيده على اعادة الروح الى صلاة الجمعة الجامعة في المساجد، فأعاد الى أذهان المسلمين دورها المجيد في الاحياء والاستنهاض والجهاد، مستذكراً دروسها والعبر، في التوعية والارشاد وقيادة المسلمين الى النصر: «لم تكن الخطب التي تلقى في الجمعات والاعياد والمواسم الاخرى قصراً على وعد وعيد بجنة أو نار ـ كما نرى اليوم ـ بل كانت الخطب تصل في ايحائها وتأثيرها الى اعداد الناس للقتال.. وقد تؤدي الى انطلاقهم الى جبهات القتال من باحات المساجد والجوامع من دون أن يأخذهم في ذلك خوف من فقر أو مرض أو موت، لانهم كانوا يخافون اللّه وحده، ولا يخشون أحداً إلّا هو، ولمثل هؤلاء يكتب النصر، ولمثل هؤلاء يكتب الفتح.. ولو كانت الجمعة مستمرة الى يومنا هذا بخطبها وحماسها وروحها وآفاق التفكير فيها، لما انتهى بنا الامر الى الحد الذي ترون.. علينا أن نسعى لاعادة احياء مثل هذه الاجتماعات، ونستغلها في التوجيه والارشاد والتوعية والقيادة الى الصلاح والنجاح. وبهذا يتم للافكار الاسلامية أن تسع أكبر الميادين، وترتفع الى أعلى الآفاق من غير أن يعلوها شيء»[٢٥١].

أما قاعدة الاستنهاض الثانية التي اعتمد عليها الامام الخميني في دعـوته على مستوى الامة الاسلامية، فهي قاعدة الحج التي أولاهـا عـناية ورعـاية استثنائيتين، بحيث خصص لهـا رسـالة سـنوية مـنتظمة بـعد انـتصار الثـورة الاسلامية في ايران، يوجهها الى حجيج بيت اللّه الحرام ويعرض فـيها قـضايا الامة الكبرى ومشاكلها، مستنهضاً المسـلمين الى وجـوب التـحرك الشـامل للتصدي لها، داعياً اياهم الى الوحدة في العمل والصف والاهداف تحت رايـة الاسلام للتخلص من الظلم والاستضعاف والتخلف والتبعية للاستكبار العالمي، والسعي الى تحقيق ما من شأنه تعزيز ونشر قيم اللّه وأحكامه في الارض[٢٥٢].

والحقيقة أن هذه الرسائل السنوية بالغة الاهمية، وتحتاج الى دراسة خاصة ومستقلة نظراً لما تثيره من امور وشؤون المسلمين والمستضعفين فـي العـالم، ومن حلول للمشاكل الانسانية والفكرية والسياسية التي يعاني منها الناس، ولما تتضمنه من تعاليم وبرامج جهادية تصب كلها في خدمة المسلمين والانسـان، وتحديد واجبات المسلمين والتزاماتهم في الاوضاع المعقدة التي يعيشون فيها أينما كانوا.

لقد كان موسم الحج فرصة نادرة بالنسبة الى الامام ليوصل حملة استنهاضه الى كل المسلمين في العالم، عبر هذا الاجتماع الاسلامي الحاشد المقدس الذي ليس بمقدور أي انسان، أو أية دولة عقد اجتماع بحجمه وأهميته[٢٥٣]. فأمر اللّه تعالى وحده هو القادر على صـناعة هـذا الاجـتماع العـظيم الذي لم يـحسن المسلمون ـ على مر التاريخ ـ الاستفادة مـن قـوته السـماوية لنـفع الاسـلام والمسلمين كما يلزم[٢٥٤]. ولذلك تصدى الامام لهذا الفراغ الحاصل بكل ما اوتي من عزم وامكانات لاعادة ربط هذا «المؤتمر الكبير»[٢٥٥] بالاهداف الاصلية التي أراده اللّه من أجلها،بحيث يستفيد حملة رسـالة اللّـه تـعالى «مـن المـحتوى

السياسي والاجتماعي للحج، بالاضافة الى المحتوى العبادي»[256] فلا يكتفون بالجانب الشكلي أو الطقوسي منه ليعودوا بعده فرادى متفرقين لا يرى الحاج منهم الاخلاص نفسه. يقول الامام الخميني في هذا المجال: «اعلموا أيها المسلمون، أن هذا التجمع الكبير، الذي ينعقد كل عام بأمر من اللّه تبارك وتعالى، يفرض عليكم ـ بصفتكم امة مؤمنة ذات عقيدة راسخة ـ أن تبذلوا جهودكم في سبيل تحقيق أهداف الاسلام السامية وشريعته الغراء، وفي سبيل تقدم المسلمين وتضامنهم ووحدتهم الشاملة»[257]. ولن يكون في مقدور المسلمين الانتفاع من هذا المؤتمر الالهي، على طريق الاهداف تلك، إلّا اذا عرفوا كيف يستخدمونه «لتبادل الآراء في حل مشاكلهم العامة أولاً، ومشاكل بلادهم الاسلامية ثانياً، وليتعرفوا على ما يحل باخوانهم المسلمين في بلادهم من أساليب المستعمر، وماذا يجري عليهم من مصائب وآلام»[258]. وبذلك يستطيعون تبين معالم طريقهم وحاجات مسيرتهم، ليتجهزوا، من مركز تحطيم الاصنام في الكعبة، «لتحطيم الاصنام الكبيرة التي تجسدت في القوى الشيطانية والناهبين المفترسين»[259]، مقتلعين من أعماق نفوسهم عوامل الخوف والاستلاب والاستسلام لقوى مستوهمة، هي في الحقيقة أضعف بكثير مما تبدو فيه ظاهرياً.

من هنا، كانت وصايا الامام للحجيج بالاتكال على اللّه والتعاهد فيما بينهم على «الاتحاد والاتفاق في مواجهة جنود الشرك والشيطان»[260]، وتجنب التفرقة والتنازع، عملاً بقوله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[261]، «فالاجتماع في الحق، وتوحيد الكلمة، وكلمة التوحيد، هى منبع عظمة الامة الاسلامية الموصل الى النصر»[262].

ان هذه الطروحات التي رأى الامام الى موسم الحج من خلالها، هي ـ من غير شك ـ انعطاف مفهومي كبير في اتجاه العودة الى الينابيع والاصول الاسلامية التي لم تكن عبادة الحج فيها إلّا مصادر طروحات الامام ومرجعها. فلم يكن الحج أيام النبي (ص) إلّا في الاطار الذي أعاد الامام رسمه وربطه بالمتغيرات الزمنية والاجتماعية والسياسية المستجدة، فكان له في رسول اللّه (ص) اسوة حسنة عندما قام بمفرده ليرفع لواء التوحيد لصالح المستضعفين، في وجه عبدة الاصنام والمستكبرين «وبالرغم من قلة العَدد والعُدد.. فانه هاجم الطغاة والجائرين بقوة الايمان وقدرة الارادة، وأوصل نداء التوحيد الى أسماع العالم في أقل من نصف قرن، وعلى أوسع رقعة من المعمورة»[٢٦٣].

وهكذا أعاد الامام وصل عبادة الحج بجذورها لتكون قاعدة ركينة من قواعد الاستنهاض والدعوة على مستوى الامة كلها.

أما القاعدة الاستنهاضية الثالثة التي استمسك بها الامام عروة وثقى، يشد بها النفوس، ويشتد على الظلمة الجبارين، فهي قاعدة الشهر المحرم «شهر المصائب والبطولات والكفاح.. وشهر الثورة العظيمة لسيد الشهداء وقائد أولياء اللّه الذي أعطى بثورته في وجه الطاغوت، درس البطولة والكفاح للانسان، وأعلن أن طريق القضاء على الظلم وهزيمته، هي مواجهته بكل الامكانات والقوى والاستعداد للفداء، وهذا هو عنوان تعاليم الاسلام لشعوب العالم الى الابد» وفاق قول الامام الخميني[٢٦٤].

لقد جسد الامام نهضته لقضية الحق والحرية والعدل والانسان، بما هي الاسلام كله، في نموذج نهضة الامام الحسين (ع) سائراً على هدى ثورته المقدسة ودلالاتها وقيمها، مستهدياً بدروسها الثورية في استنهاض المسلمين وخلق جيل مجاهد واع وفدائي، يلهب بحركته الدنيا في وجوه الظالمين

والخائبين، ويستنهض الناس الى الوعي والحركة، ويحرضهم على الانـتفاض والتضحية دفاعاً عن الاسلام ومشروعه المقدس[٢٦٥]، فكان لهذا الضخ الحسيني المتدفق في نفوسهم آثاره البـالغة، بـعد أن عـاش المسـلمون الشـيعة عـامة، والايرانيون منهم خاصة، أربعة عشر قـرناً مـلاحم عـاشوراء حـتى امـتزجت بأرواحهم وعقولهم[٢٦٦]، إلاّ أنها ظلت ـ في الغالب ـ مناسبات تميل الى درامية غير موظفة في اجتراح وعي جديد، وصناعة الانسان المسلم الجـديد بـحيث تستمر موصولة بنموذجها الجهادي الاصلي لتستنبت منه قياماً اسلامياً دائـماً ضد الانفلات من الحق، والركون الى الظلم، والسكوت على الطغاة، فكان الامام بمثابة حلقة الوصل المفقودة التي أعادت التحام الامـة بـمشروعها، فـتداعت الى الانتظام خلفه ملبية نداءه المنطلق «من قلب ثقافة الامة ومن أعماق روحها، ومن مزيجها الحضاري»[٢٦٧].

وقد دفع بها «الى أن تسبغ الوضوء من ينبوع الحب الالهي»[٢٦٨] فـخرجت «مكبرة مهللة لتحطم عروش الظالمين»[٢٦٩]، بعد ان «عاشت طويلاً أمل الانخراط في زمرة أصحاب الحسين.. فوجدت نفسها فجأة على مسرح كـربلاء وتـبوك وبدر واحد وخيبر... وجدت نفسها أمام الحسين وجهاً لوجه»[٢٧٠].

ولم يكتف الامـام الخـميني بـاعتماد عـاشوراء الشـهر المـحرم مـقتصرة على المناسبة بذاتها، بل عمد الى جعلها بمثابة الحصاة التي ترمى فـي المـياه الهادئة فتتسع دوائرها الى ما لا نهاية، اذ دفع بها الى مستوى الفـعل الديـنامي الذي تتفجر منه باستمرار فعال جديدة بمواصفات نموذجية واحدة ومـتكاملة فأسرع الى مصائب الامة على مدى التـاريخ، والى المـصائب والانـتكاسات والنكبات الجديدة، يرفعها ويرتقي بها الى مستوى مظلومية الامام سيد الشهداء (ع)، باعتبار معاناة الامة وآلامها وأحزانها وتعطشها الى الحق والعدالة وكأنـها في كل جرح من جراحها النازفة، حسين جديد، تحاول صرعها ـ كما صرعته ـ

طواغيت من ذات الصلب ومن نفس النمط، وللاسباب ذاتها. يقول الامام للمستنهضين من العلماء: «وكما تحتفظون بذكرى عاشوراء الحزينة، ولا تفرطون بها، فلتكن المصائب التي حدثت للدين الاسلامي، من اليوم الاول والى يومنا هذا، عاشوراء جديدة تحيون ذكراها باستمرار»[٢٧١].

وكان أن تحول تاريخ الامة ـ لكثرة ما حل بها من ابتلاءات، وشدة ما عصف بها من محن الى درجة بات معها في كل يوم ذكرى مرارة ـ الى تاريخ متخم بالمآسي، مروع بالاحزان والمساقط والدماء، فصح الشعار الذي يرفعه المسلمون في ايران «كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء». واذا الامام الحسين، بما كان «وحدة تاريخية كاملة»[٢٧٢]، كما يقول عبدالله العلايلي، يتحول الى تاريخ بأكمله، تتجرع الامة على مداره نُغَب التّهمام أنفاساً، واذا ثورته قاعدة استنهاض خمينية لا ينضب لها معين، فهي من أيام اللّه، قال تعالى: ﴿وذكرهم بأيام اللّه ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾[٢٧٣].

ومن قواعد الاستنهاض الكبرى في مشروع الانبعاث الخميني كانت قاعدة شهر رمضان المبارك «شهر العبادة والبناء، شهر تجديد القوى المعنوية، شهر اللّه الاعظم الذي يتجه فيه كافة المسلمين نحو القدرة الازلية والاعداد لمواجهة القوى الطاغوتية»[٢٧٤]. فاذا الشهر المكرم شهر الاستنهاض الفكري والاجتماعي والسياسي في جهاديات الامام، يستمد من لياليه وأيامه نفحاتها الروحية ليوجه المسلمين، وهم في وهج النقاء الوجداني وتساميهم الداخلي، ليحولها الى نظام قيم ثورية يشبك قوى الامة في كيان الدعوة، ويوحدها «قوة واحدة أمام طواغيت العصر والناهبين الدوليين»[٢٧٥] ـ على حد تعبيره، ليهبوا للدفاع عن حمى البلاد الاسلامية «ويقطعوا أيدي الخونة وآمالهم»[٢٧٦].

من قدسية أيام شهر المكرمات هذا، استل الامام يوماً من أجل الايام ـ وهو من أيام القدر ـ ليكون لواحدة من أقدس قضايا المسلمين: قضية فلسطين؛ استل

ـ بعد الثورة ـ من رمضان يوم آخر جمعة، واختاره «يوم القدس العالمي». وفي بيان اعلانه هذا الاختيار التاريخي، دعا الامام عامة المسلمين في جميع أرجاء العالم الى «أن يتحدوا من أجل قطع يد هذا الغاصب (اسرائيل) ومساعديه»[٢٧٧]، كما دعا المستضعفين الى النهوض أيضاً لانقاذ القدس السليب. فيوم القدس هو يوم المشروع الحضاري الاسلامي للعالم، وعينا الامام فيه: عين على المسلمين، وعين على المستضعفين في الارض، فاذا الدنيا وحركة التطور التاريخي والاجتماعي في المشروع الاسلامي بين يديه هما حاصل جمع هاتين القضيتين: قضية الاسلام وقضية المستضعفين. وفي هذا السياق يقول الامام: «ان يوم القدس يوم عالمي، وليس يوماً يخص القدس فقط، بل هو يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين.. انه اليوم الذي يجب أن ينهض المستضعفون فيه، وننهض لانقاذ القدس.. فيوم القدس هو يوم الاسلام، ويوم احياء الاسلام، فلابد من احياء الاسلام وتنفيذ قوانينه وأحكامه»[٢٧٨].

ومع عيد الفطر أيضاً يعيد الامام الانصهار بين الشكل والمضمون، وبينهما وبين أصل العيد وحقيقته، ويسترجع له دوره الروحي الجوهري، وكونه قاعدة استنهاض وتجديد لعهد المسلمين مع اللّه واعلانهم القلبي والعملي لتصميمهم الدائم على الاضطلاع بمسؤولياتهم الالهية في وجه أعداء الاسلام. فقد «جعل اللّه تعالى الاول من شوال عيداً للمسلمين ليتبينوا فيه طريقهم ومسؤولياتهم تجاه الاسلام، وتجاه أعدائه الشرسين، وذلك من خلال اجتماعهم في الصلوات والخطب المناسبة لكل عصر»[٢٧٩]. ولم تطل مسافة الزمن بين تاريخ هذا القول للامام سنة ١٣٩٦ هـ[٢٨٠] وبين ذلك الطريق وتلك المسؤوليات، عندما خرج المسلمون الايرانيون في طهران بأكبر تظاهرة عرفها تاريخ ايران، آنذاك، وذلك في يوم الفطر سنة ١٣٩٨ هـ وقد بلغ عدد المشاركين فيها قرابة المليون ونصف المليون[٢٨١]، وكان أن قال الامام في بيان له بهذه المناسبة: «لقد كان يوم الفطر هذا

العام عيد البطولة والثورة المتصاعدة لكل قطاعات الشعب الايراني.. كان يوماً أثبت للعالم النضج الفكري والعملي للشعب.. لقد مارس الشعب الايراني عبادة قيمة اخرى.. من أجل اقامة الحكم الاسلامي العادل، اذ ان العمل والسعي من أجل هذا الهدف هما من أعظم العبادات، وأن التضحية في هذا السبيل هي من سيرة الانبياء العظام، ولا سيما النبي الاكرم (ص) وسيرة وصيه القائد العظيم أمير المؤمنين عليه السلام»[٢٨٢].

وفاق هذا النهج حرك الامام الخميني قواعد الاستنهاض محققاً انجازاً فذاً عندما قاد الاستنهاض الى نهضة، والقوة الى الفعل، والمناسبة التاريخية الى حقيقة واقعة مجسدة، والمسجد الى مفاعل ثوري وحضاري، والمكان الى جغرافية شاملة تزحف الى حدود الدنيا بأسرها متجاوزة كل حدود مصطنعة، فاذا كل قاعدة من تلكم القواعد تاريخ مستمر ومتجدد في الخطة «المناسبة لكل عصر»[٢٨٣] وبما يوافق منهج السير الى الهدف.

ان الحقيقة المهمة التي تتضمنها هذه العبارة الاخيرة للامام ـ (المناسبة لكل عصر) ـ تشير الى شأن تبليغي بالغ الاهمية، لانها تفرض وجوب اخضاع الفعل التبليغي للظرف التاريخي السائد، ولما تقتضيه لوازم الواقع والمناسبة التاريخية لتستقيم نتائج الفعل «فنجاح أو فشل التبليغ يعتمد على نحو كلي تقريباً على مضمون ومنهج التبليغ في علاقتهما بالوضع التاريخي السائد»[٢٨٤]. ولعل قسماً لا يستهان به من فضائل نهضة الامام الخميني ونجاحاتها، يعود الى حكمة الامام وحسن تحكمه بحركة الظروف التاريخية والمناسبات التاريخية محولاً اياها الى قواعد استنهاض معتلياً متنها يقودها الى ما يجعلها متحققة واقعة، فأنى للعالم بزمانه أن تهجم عليه اللوابس؟ وفاق قول الامام الصادق (ع).

خاتمة البحث

على مدى هذه القراءة لفكر الاستنهاض الخميني وحركته الصراعية، استقام الامام متقلداً نموذج حضارة الحق ومتمثلاً نظامها السماوي، داعياً الى الحق والعدل والحرية على مبادىء واسس نظام التكوين ونظام التشريع في الاسلام، الآيلين الى التكامل مع مبدأ الوجود كله، محتذياً خطى الانبياء الذين ما بعثوا إلّا بهدف التسامي بالانسان «من المحسوس، الى المعقول، ومن المحدود الى اللامحدود»[٢٨٥]. ولم يكن ذلك الاستنهاض إلّا محاكاة لتجربتهم الانسانية بمستوياتها جميعها. فثار الامام بالاسلام، وله، مستنقذاً الامة، ناهضاً بها لاسترجاع طليعيتها وخيريتها اللتين اختارهما اللّه لها اذ جعلها خير امة اخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

بالفكر العقيدي استنهض الامام وثور الجواني في الفرد والامة لتثوير ما حولهما، مسترداً اياهما الى أصالتهما، وفجر حركتهما المستنهضة ثورة أقامت دولة فيها «اكتمال» لاحدى الحلقات اللولبية المرتقية بأهل الارض الى معارج السماء. لكن هذا الاكتمال مستدع في تشكله البنائي جهاداً كدحياً مستمراً على صعيدي الفرد والامة باتجاه الترقي الى حلقة اخرى من خلال ممارسة فعل الاستنهاض والثورة الدائب بهدف تكريس انجازات الثورة، وفي الوقت نفسه «لتصدير» نموذج الاستنهاض والثورة والدولة الناجزة، وصولاً الى حلقة لولبية أرقى وأشمل، وفي جهاد دينامي.. حتى يقوم حكم اللّه في الارض، ويعم العالم في نهاية المطاف. وهذا يعني أن فعل الاستنهاض بالدعوة، والثورة، والدولة،

فعل دائم، وجهاد مستمر على اساس جهوزية المشروع الحضاري الاسلامي بأكمله، وقد تنزل واجتمع في دليل قرآني وسنوي وامامي متكامل، ثوابت وشريعة ونظاماً وأحكاماً، يقوده الفقيه العادل الكفي، وحتى تسليم راية القيادة الى امام الزمان (عج) ليملأ الدنيا قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

وهكذا يكون كل تحقق لحلقة لولبية بمثابة استدعاء للحلقة الاعلى واشعاع واضاءة لها، وكأنما الحلقة الادنى فعل نور تقبس منه الحلقة الاعلى وتهتدي به، نوراً على نور.

على هذا التأسيس الاستراتيجي الدينامي عمر الامام رساليته التبليغية والاحيائية بكل تكليفاتها، وبكل أجنحتها: بالاهداف والمثل الاعلى، وبالقيم والقواعد، كما بالمستنهِضين والمستنهَضين، وصولاً الى تحقيق الحكومة الاسلامية باعتبارها هدفاً مركزياً لا يخدم تحقيقه المسلمين في ايران وحدهم، ولا المسلمين في العالم وحدهم، لكنه يخدم أيضاً المستضعفين في الارض وقضايا الحق والحرية التي يسعون اليها، بما هي قضايا الاسلام أيضاً، وقد تنزل لها، كما الاديان السماوية قبلة على أساس وحدة الانسان مع الانسان، ووحدة الانسان مع نظام الكون، ووحدة الانسان في اللّه[٢٨٦].

ولطالما أكدت قراءتنا لخطاب الامام الاستنهاضي على هذا المنهج الحضاري الشمولي والانساني المنبثق من الاسلام، والمتجسد فيه مشروعاً الهياً، بعيداً عن أية «محدودية» بشرية تزعم حمل أيديولوجية طرف اجتماعي واحد لتقمع وتقهر بحجته الاطراف الاخرى، أو تتبنى ليبرالية تجعل «مبدئية النفع محل مبدئية القيم»[٢٨٧].

واذا كان بعض الاتجاهات الايديولوجية في حضارة الباطل يرفع شعارات ذات «مضمون» انساني، كالحرية والاخاء والمساواة مثلاً، أو يدعو الى رفع الظلم والاستغلال الطبقي، فانه ـ بحساب النوايا الملفقة أو المتوهمة ـ قد تهافت

وتكشف عن ممارسة أبشع وسائل القمع العرفي والقومي والديني والحضاري للشعوب المظلومة. فانتهى هذا الفكر الناقص المجتزأ الى ثورات شوهاء، وبالتالي الى اقامة دول الطواغيت.و «الاممية» المزعومة التي يرفعها البعض شعاراً، هي في حقيقتها «لا أممية»، لانها في أصلها شعار طرف ضد بقية الاطراف من جهة، كما هي ـ من جهة اخرى ـ «لا جماهيرية» لحملها فكراً نخبوياً نسخ عذابات البشر ومظلوميتهم واستغلها، فاذا البشر في خدمة الفكر، وليس الفكر في خدمتهم.مما يعني تأليهاً ـ ظرفياً بلاريب ـ للفكر، سرعان ما تداعى وسقط. قال تعالى: **﴿والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد اللّه عنده فوفاه حسابه واللّه سريع الحساب﴾**[٢٨٨].

من فرادة المشروع الحضاري الانساني للاسلام، كانت فرادة الامام / النموذج الحضاري الامامي مستنهضاً هادياً، ومرشداً مهتدياً، وعارفاً الهياً، وعابداً معبئاً الامة على خط العبودية الواحدة للّه، ومحولاً ثورياً مجدداً، وداعية اسلامياً سياسياً رسخ «جذور الحكومة الاسلامية في عروق ولحوم وعظام ودماء الامة الاسلامية»[٢٨٩]. بحيث «لا تحيد عنها أبداً، ولن ترضى بغيرها بدلاً»[٢٩٠]، بحيث أعاد اليها ثقتها بمشروعها الذي ندبت اليه، لكنها تخلت عنه في غفلة عن ذاتها وفطرتها وتاريخها، كما أعاد اليها ثقتها بقدرتها وقابلياتها والتزامها بمسؤولياتهاالالهية، بما المسؤولية التزام بين ارادة تابعة وارادة غالبة ـ ومطلقة هذه المرة ـ فاستقامت الامة على يدي امامها، والتفت حوله، فصارت فيه، وصار فيها بكيانها الجماعي، وانصهر كيانه الاعتباري والشخصي فيها فكان «رجلاً في امة، وامة في رجل»، كما يحلو للكثيرين أن يقولوا عن الافذاذ في تاريخ الامم.

فكك الامام المشروع الحضاري المضاد من جذوره وأعاد توحيد المسلمين

في ايران على أنقاضه، وزرع في كل أرض اسلامية نواة حركة حضارية نـامية باتت اليوم هاجساً يـقض مـضاجع الطـواغـيت، يـتوحدون فـي كـل مكـان على مقارعتها، اذ لم يعد في العالم اليوم من يقول لهم: «لا»، سوى صوت الاسلام الذي عاد ـ منذ الامام ـ الى جبهة الهجوم لا الدفاع، مسقطاً أصل الثوابت فـي معادلات العالم المعاصر، وممنهجاً للامة الاسلامية كلها مشروعاً اسـتنهاضياً متكاملاً يستحيل ـ في رأينا ـ على أية حركة اسلامية في العالم أن تتقدم وتنجح دون الانخراط في نموذجه، والاهتداء به، والاعتبار بدروسه وعبره، والاستفادة من تجاربه الكثيرة.

ان تعميم هذا النموذج خدمة كبرى نسـديها للاسـلام وللـمستضعفين فـي الارض كافة، ولقضايا العدالة والحـرية والاسـتقلال فـي كـل مكـان، بـحيث يبقى أصلاً في فكر كل مجاهد وفعله، ودليل رؤية وهداية يستمسك به.

والسلام على من نهض واستنهض، وينهض ويستنهض.. ومن لم يفعل بعد، عليه أن يبدأ ﴿ولتكن منكم امـة يـدعون الى الخـير ويأمـرون بـالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون﴾[٢٩١].

هوامش الفصل الثالث

(١) انظر: الخميني، الامام روح الله، الحكومة الاسلامية، ص ١١٩ وما بعدها.

(٢) الاحزاب، الآية ٣٩.

(٣) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٢٧ ـ ١٣٤.

(٥) المطهري، مرتضى، مقالات حول الثورة الاسلامية في ايران، ص ٢٠.

(٦) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١١٩.

(٧) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١١٩.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(١١) المصدر نفسه، ص ٦٨.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٢١ ـ ١٢٢.

(١٣) سبأ، الآية ٤٦.

(١٤) رهبر، حجة الاسلام محمد تقي، نظرة في البعد المعنوي للثورة الاسلامية في ايران، ص ٢٠.

(١٥) الخميني، الامام روح الله، مختارات، ص ١٩٧.

(١٦) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٧.

(١٧) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٢، ص ٨.

(١٨) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٤١.

(١٩) الصدر، محمد باقر، الاسلام يقود الحياة، ص ١٩٩.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢١) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ٤١.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ٤١ ـ ٤٢.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٢٤) طه، الآية ١٢٣ ـ ١٢٤.

(٢٥) الطباطبائي، محمد حسين، الاسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي، ص ١٠.

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ١٩ و١٣.

(٢٨) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ٣٥.
(٢٩) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٣، ص ٦٥ ـ ٦٦.
(٣٠) المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١٤.
انظر أيضاً: المصدر نفسه، ج ١، ص ١٨٢ـ ١٨٣ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٩٣. وج ٢، ص ٨ و ٢٦ و ٤٠ و ١٥٦. وج ٤، ص ١٤١.
(٣١) الطباطبائي، الاسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي، مصدر سابق، ص ٤١.
(٣٢) المصدر نفسه.
(٣٣) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٢، ص ٣٠.
(٣٤) الحسيني، مهدي، القيادي في الحكومة الاسلامية، ص ١١ و ١٦.
(٣٥) يوسف، الآية ٤٠.
(٣٦) الخميني، الامام روح الله، كتاب البيع، ج ٢، ص ١٦.
(٣٧) المطهري، مقالات حول الثورة الاسلامية في ايران، مصدر سابق، ص ٤١.
(٣٨) المصدر نفسه.
(٣٩) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٠٢.
(٤٠) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٩.
(٤١) المصدر نفسه، ص ١٣٠.
(٤٢) المصدر نفسه، ص ١٣٥.
(٤٣) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ١، ص ١٥٢.
(٤٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨٣ ـ ١٨٤.
(٤٥) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٧.
(٤٦) المصدر نفسه، ص ١٢٣.
(٤٧) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٣٤.
(٤٨) المصدر نفسه.
(٤٩) انظر: المصدر نفسه، ص ١١٢.
(٥٠) المصدر نفسه.
(٥١) راجع:
ـ ابن أبي طالب، الامام علي، نهج البلاغة، الخطبة ١، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.
ـ سليمان، سمير، خطاب العلم والتوحيد، قراءة في خطاب العلم الالهي من خلال نهج البلاغة، مجلة المنطلق، بيروت، العدد ٣٥، ص ٤٦ ومابعدها.
(٥٢) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٤٥.
(٥٣) سليمان، سمير، خطاب العلم

والتوحيد، مصدر سابق، ص ٤٧.
(٥٤) محمد، الآية ٧.
(٥٥) الكهف، الآية ١٣.
(٥٦) الكهف، الآية ١٤.
(٥٧) المطهري، مقالات حول الثورة الاسلامية في ايران، مصدر سابق، ص ٢٢.
(٥٨) المصدر نفسه، ص ٢٢ ـ ٢٣.
(٥٩) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٩.
(٦٠) المصدر نفسه، ص ٩١.
(٦١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٣٨.
(٦٢) الانفال، الآية ١٧.
(٦٣) ابن أبي طالب، الامام علي، نهج البلاغة، ص ٨٠٩ ـ ٨١٠.
(٦٤) شريعتي، علي، الامة والامامة، الترجمة العربية، ص ٦٢ و ١٧١.
(٦٥) قد يكون من نافل القول التفكير في هذا السياق ان المثل الاعلى مستخدم هنا بالمعنى الاسلامي الذي سبق وأشرنا اليه مراراً، لا المعنى الذي تقول به حضارة الباطل تحت عنوان «السعادة» بما هي قيمة تعميمية أفقية ومثال أعلى مفرغ من أي مضمون حقيقي. فهل أهل هذه الحضارة سعداء حقاً؟ وما مضمون هذه السعادة ـ اذا وجدت ـ؟
(٦٦) الصدر، محمد باقر، مقدمات في التفسير الموضوعي للقران، ص ٤٥.
(٦٧) المطهري، مرتضى، الهدف السامي للحياة الانسانية، الترجمة العربية، ص ٤٦.
(٦٨) الخميني، كتاب البيع، مصدر سابق، ص ١٦ و ٣٠.
(٦٩) المصدر نفسه، ص ٤٦٤.
(٧٠) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٤، ص ١١٤.
(٧١) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢١.
انظر أيضاً: المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٥ـ ١٣٦.
(٧٢) رهبر، نظرة في البعد المعنوي للثورة الاسلامية في ايران، مصدر سابق، ص ٥٩.
(٧٣) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٢، ص ٨.
(٧٤) المطهري، مقالات حول الثورة الاسلامية في ايران، مصدر سابق، ص ٥٥.
(٧٥) المطهري، مرتضى، مفاهيم اسلامية، الترجمة العربية، الرقم ٣، ص ٤٨ ـ ٤٩.
(٧٦) المصدر نفسه، ص ٤٩ ـ ٥٠.
(٧٧) المطهري، مرتضى، الهدف السامي

للحياة الانسانية، ص ٤٧.

(٧٨) المصدر نفسه، ص ١٤.

(٧٩) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٩.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٨١) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٤٩.

(٨٢) المصدر نفسه.

(٨٣) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ٧٣ و١٣٣.

(٨٧) المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(٨٨) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٤، ص ٩٨.

(٨٩) المصدر نفسه، ص٩٨ـ٩٩.

(٩٠) المصدر نفسه.

(٩١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٠ ـ ١٤١ و ٢٠٩.

ـ راجع أيضاً: الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٥.

(٩٢) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٢١.

(٩٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٣.

(٩٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٧.

(٩٥) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٠.

(٩٦) انظر: الطباطبائي، الميزان، مصدر سابق، ج ٦، ص ٢٥٨ وما بعدها.

(٩٧) الزمر، الايتان ١٧ـ١٨.

(٩٨) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٠.

(٩٩) المصدر نفسه، ص ١١٩ـ١٢٠.

(١٠٠) راجع: الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٤، ص ٣٤.

(١٠١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٢.

(١٠٢) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٢.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(١٠٤) المصدر نفسه، ص ١٢٣.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص ١٣٤.

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(١٠٨) في هذا السياق نشير الى أن الامام الخميني قد كسر قانوناً سوسيولوجياً سائداً في العالم منذ زمن طويل قوامه أن المثقفين هم موجهو شعوبهم، عندما قلب المعادلة قائلاً: «اننا في عصر ينبغي أن تضيء الشعوب الطريق فيه لمثقفيها، وان

تنقذهم من الانهيار والضعف أمام الشرق والغرب، فاليوم يوم حركة الشعوب وهي التي ينبغي أن توجه من كان يوجهها من قبل..». أفليست الثورة الاسلامية في ايران والانتفاضات التي تهب اليوم على أوروبا الشرقية. خير مصداق على صحة ما راه الامام؟

ـ انظر : الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٢٣.

(١٠٩) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٣.

(١١٠) المصدر نفسه.

(١١١) المصدر نفسه.

(١١٢) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

(١١٣) المصدر نفسه.

(١١٤) المصدر نفسه.

(١١٥) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(١١٧) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

(١١٨) المصدر نفسه، ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

(١١٩) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ١، ص ١٥٢.

(١٢٠) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٣٥.

(١٢١) الكلام بين (...) لنا، وهو من سياق الشاهد، مع الاشارة الى أن المجزرة المذكورة قد حدثت سنة ١٣٨٢هـ.

(١٢٢) الخميني، الامام روح الله، دروس في الجهاد، ص ٦٤.

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ١٦٠ ـ ١٦١.

(١٢٤) بموجب هذا القانون أصبح الخبراء العسكريون والمدنيون الاميركيون أحراراً في ايران لاتطالهم يد القضاء والقوانين.

ـ انظر المصدر نفسه، ص ١١٥ ـ ١١٦.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص ١١٥.

(١٢٦) المصدر نفسه، ص ١١٨.

(١٢٧) المصدر نفسه، ص ٢٢٤.

(١٢٨) المطهري، مقالات حول الثورة الاسلامية في ايران، مصدر سابق، ص ٤٥.

(١٢٩) انظر : الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ٩٤ وما بعدها.

(١٣٠) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(١٣١) المصدر نفسه، ص ١٤١.

(١٣٢) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(١٣٣) المصدر نفسه، ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

(١٣٤) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

(١٣٥) الكلام بين (...) من سياق متن الشاهد.

(١٣٦) المصدر نفسه، ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

(١٣٧) المصدر نفسه، ص ١٤١.
(١٣٨) المصدر نفسه، ص ١٤١ ـ ١٤٢.
(١٣٩) المصدر نفسه، ص ١٠٨.
(١٤٠) المصدر نفسه.
(١٤١) المصدر نفسه، ص ١١١.
(١٤٢) المصدر نفسه، ص ١١٠.
(١٤٣) المصدر نفسه، ص ١٠٨ ـ ١٠٩.
(١٤٤) المصدر نفسه، ص ١٤٢.
(١٤٥) الخميني، الامام روح الله، دروس في الجهاد، ص ٤١.
(١٤٦) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٨.
(١٤٧) المصدر نفسه، ص ١٢٠.
(١٤٨) المصدر نفسه، ص ١٢٨.
(١٤٩) المصدر نفسه، ص ١٢٢.
(١٥٠) المصدر نفسه، ص ١٣٥.
(١٥١) المصدر نفسه، ص ١٤٤.
(١٥٢) المصدر نفسه، ص ١٤٥.
(١٥٣) المصدر نفسه.
(١٥٤) المصدر نفسه، ص ١٤٤ ـ ١٤٥.
(١٥٥) انظر: الطباطبائي، الميزان، مصدر سابق، ج ٥، ص ٥٠ ـ ٥٢.
(١٥٦) النساء، الآيتان ٩٨ ـ ٩٩.
(١٥٧) القصص، الآية ٥.
(١٥٨) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٧.
(١٥٩) الاعراف، الآية ١٣٧.
(١٦٠) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ٤، ص ١١٤.
(١٦١) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ٣٦.
(١٦٢) هود، الآية ١١٣.
(١٦٣) انظر أيضاً تفسير هذه الآية في :
ـ الطباطبائي، الميزان، مصدر سابق، ج ١١، ص ٥٠ ومابعدها.
(١٦٤) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١٩.
(١٦٥) الكلام بين (.....) لنا، وهو من سياق الشاهد.
(١٦٦) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٣٤.
(١٦٧) راجع : المطهري، مرتضى، الهدف السامي للحياة الانسانية، ص ١٥.
وـ الطباطبائي، الاسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي، مصدر سابق، ص ٤١.
(١٦٨) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨٥.
(١٦٩) انظر : المهري، محمد جواد، جوانب

من أفكار الامام الخميني، ص ١١١.
(١٧٠) الصدر، الاسلام يقود الحياة، مصدر سابق، ص ٢٦.
(١٧١) المصدر نفسه، ص ١٤٢.
(١٧٢) المصدر نفسه، ص ١٨٠.
(١٧٣) المصدر نفسه، ص ١٩٤.
(١٧٤) المصدر نفسه.
(١٧٥) الصدر، الاسلام يقود الحياة، مصدر سابق، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.
(١٧٦) المصدر نفسه.
(١٧٧) العنكبوت، الآية ٦٩.
(١٧٨) راجع : الصدر، الاسلام يقود الحياة، مصدر سابق، ص ١٩٣.
(١٧٩) الانفال، الآية ٢٤.
(١٨٠) الطباطبائي، الميزان، مصدر سابق، ج ٩، ص ٤٢.
(١٨١) المصدر نفسه، ص ٤٤.
(١٨٢) المصدر نفسه.
(١٨٣) المصدر نفسه، ص ٤٥ ـ ٤٦.
(١٨٤) ال عمران، الآية ١١٠.
(١٨٥) الشورى، الآية ١٥.
(١٨٦) البقرة، الآية ١٤٣.
(١٨٧) انظر: الطباطبائي، الميزان، مصدر سابق، ج ١، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠، وص ٣٢٣.
(١٨٨) انظر: شريعتي، الامة والامامة، مصدر سابق، ص ٣٥.
(١٨٩) الصدر، الاسلام يقود الحياة، مصدر سابق، ص ٢٧.
(١٩٠) المصدر نفسه، ص ١٦٠
(١٩١) المصدر نفسه.
(١٩٢) الصدر، مقدمات في التفسير الموضوعي للقران، مصدر سابق، ص ٧٧.
(١٩٣) المصدر نفسه، ص ٧٨.
(١٩٤) الجاثية، الايتان ٢٨ ـ ٢٩.
(١٩٥) الاسراء، الايتان ١٣ ـ ١٤.
(١٩٦) انظر: الصدر، مقدمات في التفسير الموضوعي للقران، مصدر سابق، ص ٨٠ ـ ٨٣.
(١٩٧) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٠ ـ ١٢١.
(١٩٨) المطهري، مرتضى، الاسلام وايران، الترجمة العربية، ج ٣، ص ٣٤٤.
(١٩٩) الخميني، الامام روح الله، دروس في الجهاد، ص ٢٣٥.
(٢٠٠) الخميني، الامام روح الله في:
ـ المهري، محمد جواد، جوانب من أفكار الامام الخميني، ص ٩١.
(٢٠١) جعفري، محمد تقي، الانسان كما

تطرحه مسألة التبليغ الاسلامي، الترجمة العربية، ص ٦.

(٢٠٢) راجع: المصدر نفسه، ص ٧.

(٢٠٣) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٨.

ـ انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢٠٤) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(٢٠٥) المصدر نفسه، ص ١٣٢ و ١٣٥ و ١٢٣.

(٢٠٦) الخميني، الامام روح الله، دروس في الجهاد، ص ٢٤٣.

(٢٠٧) المصدر نفسه، ص ٣٦٥.

(٢٠٨) المصدر نفسه، ص ٣٢١.

(٢٠٩) المصدر نفسه.

(٢١٠) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

(٢١١) المصدر نفسه، ص ٣٤٦.

(٢١٢) المصدر نفسه، ص ١٧٦.

(٢١٣) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

(٢١٤) راجع: الطباطبائي، الميزان، مصدر سابق، ج ٣، ص ٣٧٢.

(٢١٥) الخميني، الامام روح الله، دروس في الجهاد، ص ٢٩٦ ـ ٢٧٠.

(٢١٦) المصدر نفسه.

(٢١٧) المصدر نفسه، ص ٢٧٠.

(٢١٨) المصدر نفسه.

(٢١٩) المصدر نفسه.

(٢٢٠) الصف، الآية ٧.

(٢٢١) غافر، الآية ١٠.

(٢٢٢) الخميني، الامام روح الله، دروس في الجهاد، ص ٢٧٠.

(٢٢٣) المصدر نفسه، ص ٢٧١.

(٢٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٢٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

(٢٢٦) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٧.

(٢٢٧) المصدر نفسه، ص ٩.

(٢٢٨) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٢٢٩) المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٢٣٠) الحج، الآية ٦٢.

(٢٣١) الخميني، الامام روح الله، دروس في الجهاد، ص ٢٧٣.

(٢٣٢) المصدر نفسه.

(٢٣٣) فصلت، الآية ٣٠.

(٢٣٤) الخميني، الامام روح الله، دروس في الجهاد، ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٢٣٥) الجن، الآية ١٨.

(٢٣٦) الاعراف، الآية ٢٩.

وراجع : الطباطبائي، الميزان، مصدر سابق، ج ٢٠، ص ٤٩ ـ ٥٠، وج ٨، ص ٧٩ ـ ٨٠، وج ١٥، ص ١٢٦.

(٢٣٧) النور، الآية ٣٧.

(٢٣٨) النور، الايتان ٣٦ ـ ٣٧.

(٢٣٩) انظر:

ـ الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ١، ص ٩٩.

ـ مونس، حسين، المساجد، ص ٤٢ ـ ٤٣.

(٢٤٠) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٥.

(٢٤١) المصدر نفسه.

(٢٤٢) المصدر نفسه.

(٢٤٣) المصدر نفسه.

(٢٤٤) المصدر نفسه.

(٢٤٥) رهبر، نظرة في البعد المعنوي للثورة الاسلامية في ايران، مصدر سابق، ص ٥٦.

(٢٤٦) انظر: حسين، محمد علي، الاسلام يقاوم، ص ٢٧.

(٢٤٧) الخميني، مختارات، مصدر سابق، ج ١، ص ١١٢.

(٢٤٨) المصدر نفسه، ص ١٢٤.

(٢٤٩) المصدر نفسه.

(٢٥٠) الخميني، الامام روح الله، توجيهات الامام الخميني الى المسلمين، الترجمة العربية، ص ٣١، وزارة الارشاد الاسلامي، طهران ١٤٠٣هـ.

(٢٥١) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٦.

(٢٥٢) المصدر نفسه، ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٢٥٣) الخميني، الامام روح الله، توجيهات الامام، ص ١٠٤.

(٢٥٤) المصدر نفسه.

(٢٥٥) المصدر نفسه.

(٢٥٦) المصدر نفسه، ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢٥٧) الخميني، الامام روح الله، دروس في الجهاد، ص ١٣٤.

(٢٥٨) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

(٢٥٩) الخميني، الامام روح الله، توجيهات الامام، ص ١٠٩.

(٢٦٠) المصدر نفسه، ص ١١٠.

(٢٦١) الانفال، ص ٤٦.

ـ انظر أيضاً : الخميني، الامام روح الله، توجيهات الامام، ص ١١٠.

(٢٦٢) المصدر نفسه.

(٢٦٣) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٢٦٤) الخميني، الامام روح الله، دروس في الجهاد، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٢٦٥) المصدر نفسه، ص ٢٥٣.

(٢٦٦) المطهري، مرتضى، مسائل النظام والثورة، نقلاً عن :

ـ حسين، محمد علي، الاسلام يقاوم، ص ٢٢.

(٢٦٧) المصدر نفسه.

(٢٦٨) المصدر نفسه.

(٢٦٩) المصدر نفسه.

(٢٧٠) المصدر نفسه.

(٢٧١) الخميني، الحكومة الاسلامية، مصدر سابق، ص ١٢٧.

(٢٧٢) العلايلي، عبدالله، الامام الحسين، ص ١٦٧، دار مكتبة التربية، بيروت، ١٩٨٦م.

(٢٧٣) ابراهيم، الآية ٥.

(٢٧٤) الخميني، الامام روح الله، توجيهات الامام، ص ٨٧.

(٢٧٥) المصدر نفسه.

(٢٧٦) المصدر نفسه.

(٢٧٧) المصدر نفسه.

(٢٧٨) المصدر نفسه، ص ٩٧ ـ ٩٨.

(٢٧٩) الخميني، الامام روح الله، دروس في الجهاد، ص ٢٠٢.

(٢٨٠) انظر: المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

(٢٨١) انظر: المصدر نفسه، ص ٣٧٦.

(٢٨٢) المصدر نفسه، ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(٢٨٣) المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

(٢٨٤) صديقي، كليم، اطار مفهومي للتبليغ الذي تقوم به الدولة الاسلامية في ايران، ص ١٥ ـ ١٦، المؤتمر السابع للفكر الاسلامي، طهران، ١٩٨٩م.

(٢٨٥) المطهري، مرتضى، المفهوم التوحيدي للعالم، ص ٧٦.

(٢٨٦) شريعتي، علي، العودة الى ا لذات، ص ٣٦٧.

(٢٨٧) المصدر نفسه، ص ٣٦٤.

(٢٨٨) النور، الآية ٣٩.

(٢٨٩) الخميني، الامام روح الله، جوانب من أفكار الامام، ص ٤٨.

(٢٩٠) المصدر نفسه.

(٢٩١) آل عمران، الآية ١٠٤.

ثبت المراجع العربية والمعربة

١ ـ ابن أبي طالب، الامام علي ـ نهج البلاغة ـ تصنيف صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧.

٢ ـ ابن أبي طالب، الامام علي، نهج البلاغة، تصنيف علي أنصاريان، انتشارات مفيد، طهران، ١٩٧٨.

٣ ـ أسد، محمد، الاسلام على مفترق الطرق، الترجمة العربية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤.

٤ ـ توينبي، ارنولد، تاريخ البشرية، الترجمة العربية، الاهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦.

٥ ـ جعفري، محمد تقي، الانسان كما تطرحه مسألة التبليغ الاسلامي، الترجمة العربية، المؤتمر السابع للفكر الاسلامي، طهران، ١٩٨٩.

٦ ـ حسين، محمد علي، الاسلام يقاوم، وزارة الارشاد الاسلامي، طهران، ١٤٠٢هـ

٧ ـ الحسيني، مهدي، القيادة في الحكومة الاسلامية، دار المشرق العربي الكبير، لبنان، البحرين، الكويت، الامارات العربية، ١٩٧٨.

٨ ـ خليل، عماد الدين، التفسير الاسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٥.

٩ ـ الخميني، الامام روح الله، كتاب البيع، الجزء الثاني، مؤسسة الفلاح، بيروت، ١٩٨٥.

١٠ ـ الخميني، الامام روح الله، الجهاد الاكبر، الترجمة العربية، الدار الاسلامية بيروت، ١٣٩٩هـ

١١ ـ الخميني، الامام روح الله، مختارات من أقوال الامام الخميني، الترجمة العربية، وزارة الارشاد الاسلامي، طهران، ١٤٠٢هـ

١٢ ـ الخميني، الامام روح الله، الاداب المعنوية للصلاة، الترجمة العربية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٤.

١٣ ـ الخميني، الامام روح الله، دروس في الجهاد، الترجمة العربية، منشورات فلسطين المحتلة، ايران، ١٣٩٨هـ

١٤ ـ الخميني، الامام روح الله، الحكومة الاسلامية، قم، مؤسسة نشر وتنظيم آثار الامام

الخميني.
١٥ ـ الخميني، الامام روح الله، جوانب من أفكار الامام الخميني، الترجمة العربية، طهران .
١٦ ـ الخميني، الامام روح الله، توجيهات الامام الخميني الى المسلمين، الترجمة العربية، وزارة الارشاد الاسلامي، طهران، ١٤٠٣هـ
١٧ ـ الخميني، الامام روح الله، صحيفة الثورة الاسلامية، نص الوصية السياسية للامام الخميني، الترجمة العربية، وزارة الارشاد، طهران، (د.ت).
١٨ ـ رهبر، حجة الاسلام، نظرة في البعد المعنوي للثورة الاسلامية في ايران، وزارة الارشاد الاسلامي، طهران، ١٤٠٣هـ
١٩ ـ سليمان، سمير، الاسلام واشكالية المنهج في الخطاب المعرفي الغربي، مجلة العرفان، بيروت، العدد / ٦ـ٧ـ٨، ١٤٠٨هـ
٢٠ ـ سليمان، سمير، خطاب العلم والتوحيد، قراءة في خطاب العلم الالهي من خلال نهج البلاغة، مجلة المنطلق، بيروت، العدد/ ٣٥.
٢١ ـ سليمان، سمير، الاندلس والغرب، صراع النموذجين الحضاريين وبدايات الاستشراق، مجلة العرفان، بيروت، العدد / ٥ـ٦ ايار / حزيران، ١٩٨٦.
٢٢ ـ سليمان، سمير، خطاب العلم في القرآن، مجلة الثقافة الاسلامية، دمشق، العدد/ ٥، ١٩٨٦.
٢٣ ـ شريعتي، علي، العودة الى الذات، الترجمة العربية، دار الزهراء، القاهرة.
٢٤ ـ شريعتي، الامة والامامة، الترجمة العربية، مؤسسة الكتاب الثقافية، ١٣٦٧هـ
٢٥ ـ الشيرازي، صدر الدين، الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الاربعة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨١.
٢٦ ـ الصدر، محمد باقر، الاسلام يقود الحياة، وزارة الارشاد الاسلامي، طهران، ١٤٠٣هـ
٢٧ ـ الصدر، محمد باقر، مقدمات في التفسير الموضوعي للقران، دار التوجيه الاسلامي، بيروت، الكويت، ١٩٨٠.
٢٨ ـ صديقي، عبد الحليم، تفسير التاريخ، الترجمة العربية، دار القلم، الكويت، ١٩٨٠.

٢٩ ـ صديقي، كليم، اطار مفهومي للتبليغ الذي تقوم به الدولة الاسلامية في ايران، المؤتمر السابع للفكر الاسلامي، طهران، ١٩٨٩.

٣٠ ـ الطباطبائي، محمد حسين، الاسلام ومتطلبات التغيير الاجتماعي، الترجمة العربية، المكتبة الاسلامية الكبرى، طهران، ١٤٠١هـ

٣١ ـ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٧٢.

٣٢ ـ عبد الرؤوف، عبد الغفور، دراسات في علم النفس الاسلامي، القسم الاول، مركز الاعلام الاسلامي، ايران، ١٤٠٤هـ

٣٣ ـ العلايلي، عبد الله، الامام الحسين، دار مكتبة التربية، بيروت، ١٩٨٦.

٣٤ ـ المطهري، مرتضى، نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، الترجمة العربية، دار التيار الجديد، بيروت، (د.ت).

٣٥ ـ المطهري، مرتضى، مقالات حول الثورة الاسلامية في ايران، الترجمة العربية، وزارة الارشاد الاسلامي، طهران، ١٤٠٢هـ

٣٦ ـ المطهري، مرتضى، المفهوم التوحيدي للعالم، الترجمة العربية، دار التيار الجديد، بيروت، ١٩٨٥.

٣٧ ـ المطهري، مرتضى، الهدف السامي للحياة الانسانية، الترجمة العربية، منظمة الاعلام الاسلامي، طهران، ١٤٠٣هـ

٣٨ ـ المطهري، مرتضى، مفاهيم اسلامية، الرقم / ٣، الترجمة العربية، دار الكتاب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٣.

٣٩ ـ المطهري، مرتضى، الاسلام وايران، الترجمة العربية، دار التعارف، بيروت، (د.ت).

٤٠ ـ مؤنس، حسين، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، رقم / ٣٣، الكويت، ١٩٨١.

ثبت المراجع الاجنبية

41.GARAUDY, Roger- (Appel aux Vivants) Seuil_ Paris,1979.

42. PELLEGRIN,Arther_"L,Islam dans Le Monde" Payot, Paris,1950.

43. RONDOT , Pierre _ "L,islam" Prismes, Paris, 1965.

المحتويات

المؤلف

- الدكتور سمير سليمان من مواليد لبنان عام ١٩٤٤م.
- دكتوراه في الحضارة الاسلامية من جامعة باريس.
- استاذ الحضارة الاسلامية في الجامعة اللبنانية.
- رئيس قسم الدراسات في مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث التوثيقية ـ بيروت.
- شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية حول الحضارة الاسلامية والعلاقات بين الاديان.
- مؤلفاته:

ـ الاسلام والغرب .. اشكالية التعايش والصراع

ـ خطاب الكلمة في القرآن.

ـ الامام الخميني والمشروع الحضاري الاسلامي .. قراءة في خطاب الصراع والاستنهاض

- له ما يزيد عن عشرين دراسة في الحضارة الاسلامية والقرآنيات منشورة في دوريات عالمية مختلفة.

قواعد النشر في سلسلة رواد الاصلاح

رواد الاصلاح سلسلة دورية تعنى بدراسة مشاريع الاصلاح التي نهض بها الرواد المسلمون وتطمح الى رقي وعي الفرد والامة الى مستوى المسؤولية الرسالية، لذا تبدي المؤسسة استعدادها لنشر الدراسات التي تتوافر فيها الشروط التالية :

١ ـ أن تكون المواد منسجمة مع الخط العام للمؤسسة، من حيث التخصص والتوجه الفكري والثقافي .

٢ ـ مراعاة الجانب المنهجي والعلمي، بعيداً عن لغة الاستعراض، وتحمل افكاراً جديدة .

٣ ـ اعتماد الاصول العلمية المتعارفة في الكتابة، كالدقة في استعمال المصادر والمراجع وتثبيتها بعناوينها الكاملة واسماء كتّابها وارقام صفحاتها، مع اسم الناشر ومكان النشر ورقم وتاريخ الطبعة، مع قائمة بالمصادر منفصلة عن الهوامش .

٤ ـ من حق المؤسسة اجراء تعديلات على المادة واختصار بعض فقراتها او الطلب من الكاتب القيام بذلك .

٥ ـ يمنح الكاتب مكافأة رمزية، وفق ضوابط النشر، او حسب العقد المبرم بين الطرفين بعد الموافقة على نشره، علماً ان تاريخ النشر يخضع للضوابط الفنية .

٦ ـ يرفق مع مخطوطة الكتاب :

أ ـ ملخص للكتاب يشتمل على اهم ما ورد فيه من (٥ ـ ١٠) صفحات .

ب ـ نبذة عن حياة الكاتب العلمية مشيراً فيها الى اهم اعماله .

اصدارات

مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي

١ ـ مجلة التوحيد، كل شهرين، صدر منها (٩٥) عدداً .

٢ ـ كتاب التوحيد، دوري، صدر منه ستة كتب .

٣ ـ كتب متفرقة .

٤ ـ ملاحق متفرقة .

٥ ـ مجلدات مجلة التوحيد (١٦) مجلداً، للسنوات الاولى الى السادسة عشرة.

٦ ـ سلسلة رواد الاصلاح، صدر منها :

أ ـ منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الاسلامي عبد الجبار الرفاعي

ب ـ الامام الخميني والمشروع الحضاري الاسلامي الدكتور سمير سليمان